روايات عبير

عندما يعود الحب

www.elromancia.com

مرمورية

Julienne SANDER

N° 606

روايات عبير

لم تكن بحاجة إلى تعقيدات جديدة.
لقد كانت الحياة قاسية للغاية بالنسبة لـ"شارلوت".
فهي لم تستمتع بالعمل كنادلة كوكتيل، لكنها كانت بحاجة إلى الوظيفة كي تتحمل نفقات دراستها.
وكان "هاريس جوردان" يشكل تعقيدا جديدا لحياتها بما لا يدع مجالا للشك، فلم يكن الرجل الذي أحبته ذات مرة فحسب، بل إنه قد أصبح صاحب فندق "فوت هيلز" ورئيسها في العمل الآن.
وأدركت "شارلوت" أنها ينبغي أن تكرهه، ومع ذلك فبرغم مواقف سوء الفهم الكثيرة بينهما فقد كانت جذوة التجاذب بينهما ماتزال مشتعلة ومتأججة، لكن تعقيدا جديدا آخر ظهر ممثلا في خطيبة "هاريس" "جانيس"...

ISBN 9953-424-82-9
9789953424828

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٥ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٣ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

الغلاف الأمامي

– لماذا تعملين هنا في فندقي؟

أجابته "شارلوت" وقد هالتها قسمات وجه "هاريس جوردان" الحجرية:

– يتعين على الفتاة أن تكسب قوتها بطريقة ما.

وعاد يسألها قائلا:

– إذن ماذا علي أن أفعل كي أعيدك إلى الجُحر الذي خرجت منه؟

لقد فاجأها بلهجته التي تنضح حقدا وضغينة؛ ولذا سألته متعجبة:

– ماذا قلت؟

– لقد سمعت ما قلت فلا تدعي البلاهة.

لقد أدركت حقيقة أمرك منذ سنوات، لكنك لم تحاولي تغيير موقفك وإصلاح ما فسد. والآن أريد أن أعرف ماذا يتعين علي أن أفعل كي أخرجك من حياتي هذه المرة ؟

واستدارت في مقعدها لمواجهته وقد ارتسمت على وجهها علامات الغضب الشديد والاستياء ثم قالت له:

– يالك من أبله مغرور! لقد اقتحمت علي حياتي كالإعصار الذي لا يخلف وراءه إلا الدمار والفوضى ، وأنت تعلم جيدا أنك لم ترغب يوما في الزواج بي!

مقدمة

على صفحات هذه الرواية تطالعنا قصة عاطفية مثيرة تعيش بطلتها في صراع دائم لا يهدأ بين ماضي حبها المؤلم وحاضره المرير الذي تتنازعها فيه مشاعر الحب والغيرة وظلم من تحب لها.

فهل تكون للحب بكل معانيه الجميلة والرقيقة التي تسمو بالنفس البشرية، وتحلق بها في سماء السعادة المنشودة، الكلمة الأخيرة في حسم هذا الصراع؟

هذا ما سوف نعرفه بعد قراءة هذه الرواية المثيرة.

شخصيات الرواية

- "شارلوت هاربر": بطلة الرواية وتعمل نادلة ببار "بلاك ستاليون" بفندق "فوت هيلز".
- "هاريس جوردان": بطل الرواية وصاحب فندق "بلاك ستاليون".
- "توني": عامل البار وزميل "شارلوت" في العمل.
- "لندا": زميلة "شارلوت" في العمل ومولعة بترويج الشائعات والقيل والقال.
- "چانيس": خطيبة "هاريس" الثانية بعد انفصاله عن "شارلوت".
- "چاري ساندرز": زميل "شارلوت" في الدراسة.
- "چيمي": عجوز كانت تعيش معه "شارلوت" وترعاه لوقوفه إلى جوارها في محنتها.

www.elromancia.com

الفصل الأول

شعرت "شارلوت" بشد لا إرادي ألفته بعضلات معدتها عند دخولها الردهة ذات الإضاءة الخافتة.

ولكونها قد عملت كنادلة كوكتيل بمشرب "بلاك ستاليون" بفندق "فوت هيلز" على مدى عام تقريبا، كان لها أن تعتقد باكتسابها مناعة ضد شعورها الغامض بالارتباك والذي كان يباغتها دائما عندما دخلت الفندق أول مرة مرتدية الثوب القصير للغاية الذي تطلق عليه إدارة الفندق الزي الرسمي . ومع ذلك فطوال الدقائق القليلة الأولى كان لديها دوما وعي حاد بالنظرات المتفحصة التي كان رواد المشرب من الرجال يصوبونها إليها، وهم ينظرون إلى فتحة الصدر الواسعة لثوبها الذي لم تكن له حمالات ، وطول ساقيها أسفل تنورتها التي كاد أن ينعدم وجودها.

ورغم ذلك حبست مشاعرها ولم تبدها وهي تمشي عبر الحجرة، وقد راح وجهها يشع بابتسامات أوتوماتيكية لمختلف الزبائن الجالسين حول الموائد ، وما إن وصلت إلى البار حتى أراحت إحدى قدميها على الدرابزين النحاسي المواجه لها، ولوحت لعامل المشرب محيية فما كان منه إلا أن اقترب منها رافعا حاجبيه في تهكم وهو يقول لها:

– إنك في حالة مزاجية طيبة الليلة. فما السبب يا ترى؟

هزت "شارلوت" كتفيها قائلة له :

– لا شيء بعينه . كنت فقط أفكر في ترك العمل هنا.

هذا كل ما في الأمر. ومجرد التفكير في هذا الأمر يُسعدني دوما.

قال لها "توني" معاتبا وقد كست فمه امتعاضة ساخرة:

– أوه. ماذا وراءك يا "شارلي" . تقصدين أنك لن تفتقديني في سبتمبر (أيلول " ؟

دون أن تعلن عن توبتها هزت "شارلوت" رأسها . رمقها "توني" على نحو مبالغ فيه ثم قال لها وقد دفع ذراعه للأمام على هيئة قوس وراح يطوف به أرجاء الحجرة:

– في الخريف القادم عندما تجدين نفسك في مواجهة حجرة درس مملوءة بالأولاد الذين يصرخون ويصيحون فسوف تندمين على تخليك عن كل هذا!

تنحت "شارلوت" جانبا كي تاتي بصينية استعدادا للعمل ليلا ، وكانت ترتسم على شفتيها ابتسامة عريضة عندما استدارت للخلف وهي تحدث نفسها قائلة: " ذلك هو اليوم الموعود" !

إن مجرد التفكير في أولئك الأولاد هو الذي أجبرني على البقاء هنا طوال هذه المدة. كان بإمكاني الحصول على عمل نهاري محترم لو لم يكن الأمر متعلقا بالأولاد.

طال تبسمها، فقد كان حصولها أخيرا على درجة البكالوريوس في التربية مصدرا لشعور عظيم تملكها بالكبرياء والرضا، وذلك على الرغم من أن ذلك استغرق منها خمس سنوات ونصف بدلا من أربع سنوات في الظروف العادية ، لقد كانت رحلة طويلة وشاقة مع ماكبدها العمل طوال الوقت كغسالة أطباق في بادئ الأمر حتى تمكنت أخيرا من الحصول على وظيفة نادلة كوكتيل حيث كان الأجر الذي تتقاضاه أفضل.

ورغم ذلك كان الأمر يستحق الكفاح.

في الخريف سوف تتولى مسؤولية أول فصل دراسي لها بالصف الأول في مدرسة ابتدائية محلية. كان حلم حياتها منذ أن كانت طفلة أن تصبح معلمة وكانت تعلم أنها سوف تحب هذه المهنة. وعلاوة على ذلك فلم يكن يدور بخلدها أنها سوف تضطر للعمل مرتدية ملابس ضيقة وأحذية ذات كعوب مدببة!

وعندما أعادت "شارلوت" النظر إلى زميلها في العمل كان يتفحصها ويتأمل ملامحها ببريق شيطاني صادر من عينيه، وأشار نحو لوحة زيتية كانت معلقة على الحائط الخلفي للمشرب قائلا لها:

- أما وأنك قد عزمت على التحول إلى معلمة عجوز حازمة. فلم لا تتركين لنا شيئا ما نتذكرك به؟ والآن وقد انتقلت ملكية هذا المكان، فإن المالك الجديد ربما يدعني أرسم لوحة زيتية جديدة كي أعلقها على الحائط.

وأردف قائلا لها وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة تفيض خبثا:

- أيمكنك أن تكوني صاحبة اللوحة الجديدة.

رمقته "شارلوت" هو والزيت بنظرة ملؤها الاحتقار والنفور. والواقع أن اللوحة كانت فظيعة بكل ما فيها حيث تمددت الشخصية العارية فوق مقعد غرام "ڤيكتوري" في مشهد مثير إلى حد الفحش.

وكانت ابتسامتها المغوية أقرب لأن تكون غمزا وقد انطلقت من عينيها نظرة جريئة، ومما لا شك فيه أن "توني" كان بمقدوره أن يأتي بشيء ما أكثر إغراء وجاذبية لو أنه لم يتخذ منها موديلا للوحة.

- لا تكن حاد الذكاء هكذا يا "توني"!

رمقها بنظرة فاحصة قائلا لها:

- الواقع أنني جاد.

وبلهجة ساخرة قالت له "شارلوت":

- أنت كذلك حقا.

ولكن ماذا سوف تقول "آن" - تذكرها بالطبع فهي زوجتك- بشأن تجردي من ملابسي أمامك؟

- الحقيقة أننا كنا نتحدث عن هذا الشأن في أحد الأيام. وقد استحسنت "آن" الفكرة واعتبرتها فكرة عظيمة حقا.

وما إن سمعت "شارلوت" ذلك حتى اندفع حاجباها لأعلى تعبيرا عن الشك.

قبل أن تعيدهما إلى وضعهما الطبيعي، من المحتمل أن "آن" لم تكن لتمانع فقد كانت واحدة ممن يؤمن جانبهم، وعندما نشأت الصداقة بين "شارلوت" و"توني" لأول مرة كانت "شارلوت" قلقة بعض الشيء من رد فعل زوجته حيال تلك الصداقة، ومع كل ما كانت تتمتع به "شارلوت" من شعر أشقر فضي طويل وعينين واسعتين بنفسجيتي اللون وقوام ممشوق، لم تكن تبدو على أنها من ذلك الطراز من الفتيات اللاتي ترغب معظم الزوجات لأزواجهن أن يصادقهن.

لكنها و"توني" كانا صديقين وحسب ولا شيء سوى ذلك، ولحسن الحظ فقد كانت "آن" تفهم ذلك وتعيه جيدا.

ومع ذلك فحتى إذا لم تمانع "آن" في أن تكون "شارلوت" موديلا عاريا لـ"توني" فإن "شارلوت" نفسها كانت تمانع قطعيا!

www.elromancia.com

وابتدرها "توني" بقوله:

– لا يهمني رأي "آن" في الفكرة!

وردا على نظرة الاعتراض في عيني "توني" أسرعت "شارلوت" بتغيير الموضوع قائلة له:

– متى يتولى المالك الجديد مسؤولية الفندق؟

نظر إليها "توني" وقد تصنع الفزع قائلا لها:

– تبا لك. تعنين أنك لم تذهبي لحضور اجتماع العاملين اليوم؟ يالك من عاملة مخلصة، لقد كان الرئيس الجديد حاضرا لإطلاع جميع العاملين على مجريات الأمور.

– تعلم أنني لم أكن هناك. فماذا قال؟ صفه لي.

هز "توني" كتفيه وهو يجيبها قائلا:

– كيف لي أن أعرف؟ وأنا لم أحضر أيضا.

نظرت "شارلوت" إلى السماء وهي تقول له:

– وتنتقدني؟

طمأنها "توني" قائلا:

– لم نكن في حاجة لحضور الاجتماع ولا أعرف إذا كانت قد أتيحت لك الفرصة لإلقاء نظرة على جدول العمل الليلة أم لا، لكننا سوف نعمل مع "لندا" وسوف تطلعنا على كافة التفاصيل المهمة.

وبلهجة جافة قالت له "شارلوت":

– هذا صحيح تماما، أسرع فربما أكون بالخارج منهمكة في إعداد الموائد عند حضورها إلى هنا.

بينما كانت تدق الأرض بقدمها بصبر نافد، أخذت تراقب "توني" وهو ذاهب إلى حيث يوجد سجل النقدية كي يخرج النقود التي

سوف تحتاج إليها لمحاسبة الزبائن. ومن المرجح أن ذلك لم يكن سوى وسيلة استخدمتها تجنبا للقاء "لندا" فهي لم تكن في حالة تسمح لها بالاستماع إلى أحد أحاديث "لندا" المطولة بشأن مجريات الأمور بمجمع فندق "فوت هيلز" والحقيقة أن أحوال "شارلوت" كانت لا تقبل التصديق- فمن ناحية أحبت أن تكون نادلة كوكتيل! وقبل انتقالها إلى الردهة منذ شهرين عملت بالمقهى واعتبرت التغيير بمثابة ترقية لها، وربما كان حماسها الزائد نوعا من الذكاء الحاد لو أنها لم تطفئ جذوته بكونها هدفا للقيل والقال على أوسع نطاق بالمؤسسة بأكملها.

ولم يكن بمقدور "شارلوت" تجنب لقاء "لندا" في تلك الليلة أيضا، فقد أسرعت إلى المشرب في نفس الوقت الذي كان "توني" يقوم فيه بتسليم النقود الجاهزة للإقراض. وبعد أن ألقت تحية قصيرة على الفتاة قائلة لها "أهلا" أتت "شارلوت" باستعراض كبير لعد نقودها الورقية بصوت مرتفع على أمل إفشال أية محاولة من جانب "لندا" لبدء أي حوار. ولسوء الحظ لم يجد ذلك نفعا.

– لم أرك في الاجتماع بعد ظهر اليوم، لقد حجزت لك مقعدا هناك لكنك لم تحضري.

غمغمت "شارلوت" قائلة:

– كنت مشغولة للغاية.

ثم مضت في عد النقود ١٥.. ,١٦. وبلهجة من يتلذذ بتعذيب الغير قالت لها "لندا":

– كان عليك بذل المزيد من الجهد للحضور!

www.elromancia.com

وفي تردد واصلت "شارلوت" العد:

"١٦.." ونظرت في تجهم إلى رزمة النقود التي كانت بحوزتها ثم أخذت تعيد العد ثانية، وكانت قد وصلت إلى رقم ٣٠ في العد عندما اقنعها تبرم "لندا" وامتعاضها بانه يجدر بها أن تستمع إلى حديثها حتى نهايته وذلك أنها لن تتمكن من عد النقود التي في يدها بدقة إلا بعد انتهاء "لندا" من حديثها.

– حسنا. ما الذي فاتني في ذلك الاجتماع؟ هل من المنتظر حدوث الكثير من التغيرات؟

– أوه. لقد دار كثير من الحديث بهذا الشان، لكن مجرد رؤية المالك الجديد كانت جديرة بالحضور، وأدارت "لندا" عينيها الحالمتين لأعلى وهي تردف قائلة:

– ياله من رجل! لقد أوتي مغناطيسية حيوانية على نحو لا يصدق ولا يمكن لك تصورها، وأمام نظرات "شارلوت" التي تنم عن عدم فهمها، عادت "لندا" تكرر كلماتها الأخيرة:

– مغناطيسية حيوانية.

وراح "توني" و"شارلوت" يتبادلان النظرات.

لابد أن "لندا" قد وقعت أسيرة لجاذبية المالك الجديد حتى فاتتها التفاصيل الأخرى للاجتماع، وكانت العادة قد جرت فيما مضى على أن تزودهما بسرد تفصيلي دقيق لكل ما كان يدور في الاجتماعات مما كان يجعلهما يتساءلان عما إذا كانت قد دونت محضر الاجتماع أم لا.

واصلت "لندا" حديثها قائلة:

– إنه جذاب حقا.. إنه يفيض جاذبية.

وأراهن أنه يصلح لأن يكون نجما سينمائيا إذا أراد ذلك. وقد ذكرت "موراي" أنه عظيم الثراء أيضا. وينوي تمضية الصيف كاملا في شقة فوق سطح المبنى، وإني لأتساءل عما إذا كان بإمكاني لفت انتباهه إلي.

استدار "توني" و"شارلوت" تلقائيا وقد جمعهما تفكير واحد، ثم سار كل منهما في اتجاه مختلف عن اتجاه الآخر تاركين "لندا" وراءهما، لقد كانت "لندا" مروجة شائعات من الطراز الأول.

كان تأثر "لندا" بجاذبية الرجل إلى هذا الحد الجنوني مثيرا للغثيان حقا. لكن "شارلوت" لم ترها في تلك الحالة من قبل. وعلى مدى ثانية واحدة، أحست "شارلوت" بوخز الأسى والرثاء لحالة الفتاة الأصغر منها سنا، لقد سبق لها أن عرفت شابا وسيما للغاية ملك عليها لبها بجاذبيته ومغناطيسيته الحيوانية لكنها خرجت من تلك التجربة بدرس قاس من غير الممكن أن تنساه أبدا!

عند عودتها إلى البار بطلبات المشروبات كانت الردهة مكتظة بالناس ولم يكن هناك وقت للمزيد من الحديث. كانت الليلة ليلة الجمعة وكان السكان المحليون خارج منازلهم يحتفلون بنهاية أسبوع من العمل ويتنافسون مع ضيوف الفندق طلبا لمكان بالفندق. ومع ارتفاع مستوى الضجيج والجلبة انصرف اهتمام "شارلوت" كاملا إلى الإتيان بطلبات الزبائن أولا بأول دون إبطاء.

وبينما وقفت عند البار بعد مرور ساعتين في انتظار "توني" حتى يعد المشروبات المطلوبة قالت له "شارلوت" معلقة على ضغط العمل الزائد في تلك الليلة:

www.elromancia.com

– أكره العمل عندما نكون مشغولين هكذا. قدماي تقتلاني ألما.

ذكرها "توني" وهو يضع الأكواب المملوءة على صينيتها قائلا لها:

– معك حق ولكن ماذا عن البقشيش؟

– لا زبائن .. لا بقشيش.

اعترفت له "شارلوت" قائلة هذا صحيح . وبعدها التقطت صينيتها وهمت بالذهاب، ولكنها قبل أن تتمكن من ذلك سمعت صوت "توني" يناديها قائلا لها:

– على فكرة يجدر بك أن تكوني حذرة للغاية، فقد رأيت "كلارك" لتوي يدخل ومعه مجموعة من الأشخاص وجلسوا على إحدى موائدك. ومبلغ علمي أنه مازال المدير، ولذا فمن الأفضل أن تسرعي إلى هناك.

– حسنا، فهو عادة ما يعطي بقشيشا جيدا على الأقل. قالت ذلك ثم تنهدت. فهي لم تكن تريد حقيقة مزيدا من الزبائن – حتى أولئك الذين يدفعون بقشيشا أكثر.

وغض "توني طرفه" عنها قبل أن يقول لها:

– ربما كان الرجل الذي بصحبته هو المالك الجديد للفندق. ويمكن أن يكون في ذلك ما هو أفضل من مجرد بقشيش إذا صح وصف "لندا" للرجل، عليك فقط أن تحذري تلك المغناطيسية الحيوانية التي يتمتع بها وألا تخدعك.

طمأنته "شارلوت" وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة عريضة وناظرة إلى الركن البعيد من الردهة قائلة له:

– أوه إنني حذرة دائما.

كانت هناك سحابة من دخان السجائر تلف الموائد محدثة ضبابا

جعل من الصعب تمييز من كان يجلس هناك. ومع ذلك تمكنت "شارلوت" من تمييز رأس السيد "كلارك" الأصلع على نحو ساطع، وإضافة إلى الرجل الذي كان بصحبته كانت هناك سيدتان لم تتمكن من تمييز ملامحهما.

خمنت "شارلوت" أنه إذا كان الرجل هو المالك الجديد للفندق فإن جاذبيته الشهيرة لم تكن تفيض إلى ذلك الحد الذي سمعت به في الظلام.

وما إن طردت "شارلوت" هذا الأمر من تفكيرها حتى شرعت في السير داخل الردهة.

– أربعة دولارات وثمانون بنسا كان هذا ما قالته "شارلوت" بعد بضع دقائق من قيامها بوضع المشروبات أمام الرجلين، وبينما وقفت تنتظر أحدهما كي يدفع لها الحساب قال أحدهما لصاحبه:

– سوف أدفع أنا الحساب يا "چيك" وراح يتحسس جيبه بحثا عن حافظة نقوده تاركا جسده يقترب من "شارلوت" في أثناء ذلك. وعلت وجهه ابتسامة عريضة كشفت عن أسنان صفراء عندما تنحت "شارلوت" بعيدا عنه. وبينما تعلقت عيناه بوجه "شارلوت" أخرج ورقة نقود من حافظته قائلا لها:

– يمكنك الاحتفاظ بالباقي يا عزيزتي.

وما إن حصلت "شارلوت" على الحساب حتى قفزت من مكانها مبتعدة عن مائدة الرجلين بينما راح شريكه "چيك" يضحك مستهزئا. ورمتهما "شارلوت" بنظرة احتقار أخيرة وهي تسير في طريقها مبتعدة عنهما. ولما كان السيد "كلارك" كثيرا ما يؤكد على القول المأثور:

www.elromancia.com

– الزبون دائما على حق. ولم تجد "شارلوت" مفرا من أن تكتم غيظها وتكبت غضبها ثم توجهت إلى حيث جلس المدير وجماعته واستطاعت حمل نفسها على التبسم لهم.

وألقت "شارلوت" تحية عامة على الجالسين حول المائدة مع تركيز اهتمامها على رئيسها قائلة لهم "مساء الخير". لكنها ما إن حولت انتباهها إلى الرجل الآخر الجالس إلى المائدة حتى قررت لأول وهلة أنه لابد أن يكون المالك الجديد. وأيقنت أن "لندا" كانت محقة في وصفها الحماسي له، فقد كان يفيض جاذبية حقا بجبينه العريض الذي كانت تكسوه تقطيبه طفيفة في تلك الأثناء وارتفاع عظام ذقنه وصلابة فكه. وما إن التقت عيناها بعينيه ورأت بريقهما الفضي الداكن حتى سرت في جسدها رعدة هزتها بشدة حيث أدركت أن هاتين العينين لم تكونا لشخص غريب عنها.

ورغم مرور كل هذه السنوات فقد كانت رؤيته تجتاحها بسيل غامر من الغبطة والسعادة. وفي نهم راحت تتفحص ملامحه وترصد ما طرأ عليها من تغيرات وهي تتساءل في قرارة نفسها كيف أنها لم تعرفه لأول وهلة. لقد مضت ست سنوات، وقد نضج "هاريس" من غر يبلغ من العمر ٢٣ عاما عرفته آنذاك فها هو وجهه قد صار أكثر صلابة وحنكته تجارب الحياة وامتلأ جسده رجولة. ورغم ذلك كانت صورته مألوفة بالنسبة لها بصورة تدعو للشعور بالألم– فهو الرجل الذي كانت في طريقها للزواج به، وهو أيضا الرجل الذي قد حملت طفله في أحشائها.

وأضاء وجهها فرحا وراحت ترطب شفتيها كي تنطق باسمه، لكن

وكما لو كان توقع ذلك منها ابتدرها فجأة بقوله:

– سوف آخذ عصير برتقال.

ثم نظر إلى السيد "كلارك" سائلا إياه بقوله:

– ماذا سوف تأخذ يا "چيمس"؟

– نفس ما طلبت أنت.

وقفت "شارلوت" تحملق إلى وجه "هاريس" وملامحه وراحت تتساءل: ترى ألم يعرفها.. ألم يتذكرها؟ وكانت تعلم الإجابة عن ذلك. لقد عرفها وتذكرها. فعندما التقت عيناها بعينيه قرأت فيهما معرفته لها. وزجرها السيد "كلارك" بلهجة حادة قائلا لها:

– ألن تأتي بطلبنا يا "شارلي"؟

– أوه، نعم بكل تأكيد.

قالت له ذلك. وقد استردت وعيها بعد جهد جهيد ومكابدة نفسها. والتفتت تجاه "هاريس" وتعلقت عيناها بعينيه لبرهة قصيرة أدركت بعدها أنه عرفها. كانت عيناه مليئتين بالذكريات والمرارة والغضب. وأشاحت "شارلوت" بوجهها بعيدا ثم التفتت وأسرعت مبتعدة كي تخفي عينيها عنه فلا يرى الألم فيهما.

كانت "شارلوت" مستغرقة في التفكير أثناء انتظارها "توني" كي يعد لها طلباتها من المشروبات. كانت غالبا ما تتساءل عما سوف يكون عليه رد فعل "هاريس" لو أنهما تقابلا ثانية. لكنها لم تتوقع منه أن يتظاهر بأنهما غرباء. وربما كان من غير المعقول الشعور بجرح المشاعر حيال ما حدث بالنظر إلى ما اكتنف خطبتهما من أحداث. وعلى أية حال فقد كان قرار إلغاء زواجهما قرارا متبادلا هكذا كان اعتقادها على الأقل. وكان دافع

"هاريس" الوحيد للزواج بها كونها حاملا، ولكن أما وأنه لم يكن هناك طفل فلم يكن هناك مبرر لزواجهما هكذا سار الأمر بكل بساطة.

لقد كانا مجرد فتى وفتاة لم ينضجا بعد. أخذا يمارسان لعبة الحب، فلما اصطدما بالواقع وخرج ما بينهما عن مجرد كونه لعبة للتلهي والتسلية انتهت أوقاتهما الحلوة الهانئة بسقطة مدوية.

وكانا قد تقابلا في استعراض "دينيفر". وكان والد "شارلوت" يمتلك عزبة لتربية المواشي وكانت لديه أفكار عظيمة أتت بمواشيه إلى الاستعراض الكبير. لكن "شارلوت" كرهت تلك الأبقار! ربما كان الأمر قد اختلف لو أن أمها كانت لاتزال على قيد الحياة، لكنها توفيت عندما كانت "شارلوت" لاتزال طفلة دارجة. وعندما كبرت بدا لها أن الاهتمام الأوحد لدى والدها منصرف إلى ماشيته طوال الوقت حتى سخر لها وقته وماله بل خصها بحبه أيضا. وعندما بلغت سن ١٧ عاما أصبحت تنفر من أبيها وحيواناته.

لم تكن لديها الرغبة في الذهاب معه إلى الاستعراض فقد كان ذلك يعني عدم ذهابها إلى المدرسة التي أحبتها والبقاء مع الأبقار التي كانت تمقتها. لكنه أصر على ذهابها معه. ولذا كانت غاضبة ومتجهمة بل وفي حالة مزاجية تنم عن التمرد عندما أجبرها والدها على مقابلة صاحب فندق كبير كان يتحايل ليبيع له بعض الأبقار. لكن والد "هاريس" لم يشتر الأبقار وفي المقابل نشأت علاقة حب بين "شارلوت" وابنه "هاريس".

والحقيقة أن تمهيداتها الأولية للتقارب مع "هاريس" كانت بدافع

الحنق والكراهية في المقام الأول. كان والدها عاجزا وهو يشاهد مغازلتها لابن صاحب الفندق ولم يكن قادرا على الإساءة لمشتر منتظر. وقد أسعد "شارلوت" مراقبة علامات الضيق على وجه والدها وهي تبتسم لابن صاحب الفندق الوسيم وتتحدث إليه. فرغم انصراف تفكيره واهتمامه الكاملين إلى المواشي إلا أن والدها كان حازما ولم يسمح لها أبدا بالكثير من الحرية ولعل تدقيق الحذر في أصدقائها المحتملين دفع معظمهم للابتعاد عنها.

وكان من الصعب حقا تحديد الوقت الذي بدأت فيه التوقف عن النظر إلى "هاريس" على أنه مجرد سلاح ضد أبيها وأصبحت تنجذب نحوه لذاته. ولكن لم يمض وقت طويل حتى وجدت نفسها قد وقعت في حبه بكل كيانها. كانت صغيرة السن وحالمة ومشغولة الفكر برجل لأول مرة في حياتها.

راحت "شارلوت" تعض على شفتها وهي تتذكر كيف كان "هاريس" يشغل تفكيرها كاملا. ومع اقتراب نهاية الاستعراض تملكها الخوف من أن نهاية الاستعراض تنذر بنهاية علاقتها بـ"هاريس". وشأنها شأن الكثير من المراهقات الطائشات الأخريات لم تجد أمامها أية وسيلة للاحتفاظ به سوى أكثر القيود بدائية ألا وهو ممارسة الحب. وبعد ذلك لم تفكر "شارلوت" في أنها قصدت أن تربطه برباط الحمل في تلك الليلة، لكنها كانت قد خططت- عن وعي- لاستخدام ذلك كوسيلة لإجباره على الزواج بها. لقد أحبت "هاريس" حقا وكانت على أتم استعداد لعمل أي شيء للاحتفاظ به. وطوال فترة خطوبتهما القصيرة عاشت يتملكها الشعور بالذنب من أنها ربما تكون قد صنعت

هذا الموقف المؤلم بيديها.

– ما نوع العطر الذي يستخدمه بعد الحلاقة؟

ولبرهة وقفت "شارلوت" واجمة وراحت تحملق إلى "توني" الذي كست وجهه ابتسامته العريضة أسفل شاربه الكامل الذي أخذ يعبث به، بينما كانت عيناه تصدر وميضا شيطانيا. وسألته "شارلوت" عابسة الوجه قائلة له:

– ماذا قلت؟

– كنت أسألك عن العطر الذي يستخدمه بعد الحلاقة فإذا كان نوعا يأتي في زجاجة أود أن أعرفه. فمن الممكن أن يفعل المعجزات بالنسبة لي في حياتي الزوجية.

سألته "شارلوت" في تبرم وضيق وقد راحت تتحقق من وجود جميع المشروبات التي طلبتها من "توني" على صينيتها قائلة له:

– من تقصد؟

– الرئيس الجديد بالطبع. إنك أسوأ من "لندا"، وكانت "شارلي" نصف مصغية لـ"توني". فقد تذكرت الفتاة الجالسة مع "هاريس" إلى مائدة عائلة "كلارك". لابد أن الفتاة صاحبته. لقد كانت قاصرا عندما كانا يتواعدان ولم يصحبها "هاريس" أبدا إلى بار رغم أنها طلبت منه ذلك ذات مرة.

قطع عليها "توني" ما كانت فيه قائلا لها بلهجة رقيقة:

– "شارلي" البار مكتظ بالزبائن. لكنها لم تسمعه. إنها لن تدع "هاريس" يأتي ببعض المراهقات إلى هنا ويتوقع مني إحضار طلباتهن.

أسرعت "شارلوت" بالتقاط صينيتها المثقلة بالمشروبات قبل أن

تغادر البار غير واعية لنظرة "توني" التي تتبعها. وعندما وصلت إلى مائدة عائلة "كلارك" كانت تتميز غيظا. وعندما وضعت كوبا من عصير الليمون أمام السيدة "كلارك" كما طلبت منها السيدة من قبل قفزت نقطة من السائل أسفل أحد جوانب الكوب. وعلى الرغم من أنه كان يجب عليها أن تقدم المشروب التالي للفتاة التي سبق وأن طلبت منها عصير فراولة إلا أن "شارلوت" أسرعت بوضع مشروبات الرجلين أمامهما تاركة الفتاة بلا شراب.

وترددت "شارلوت" لوقت قصير وانتابها شعور مفاجئ بتأنيب الضمير بشأن ملاءمة خطتها. وبعد ذلك فالإضاءة في الردهة خافتة ومن المحتمل أنها أخطأت الفتاة. وصوبت "شارلوت" نظرة طويلة متفحصة إلى الفتاة من وراء ستار رمشيها. كانت الفتاة مائلة نحو "هاريس" وقد اتجه وجهها الذي يشبه وجه الدمية لأعلى نحو وجهه وهو يبتسم ناظرا لأسفل في عينيها الخاليتين من أي تعبير. ولم تكن الفتاة تبدو على أنها تجاوزت السادسة عشرة من عمرها ولو بيوم واحد. كان من الواجب على "هاريس" أن يشعر بالخزي من نفسه، يا له من رجل قبيح كبير السن!

دارت "شارلوت" حول المائدة واتجهت نحو الفتاة وتعثرت قليلا عندما وصلت إلى حيث تجلس الفتاة. وانزلق آخر مشروب كانت تحمله إلى حافة صينيتها وسقط الكوب على أحد جوانبه فانهمر السائل منه ليجد طريقه إلى حجر الفتاة الجالسة بجوار "هاريس". وفي سورة غضب عارمة قفزت الفتاة من مقعدها لتصرخ في وجه "شارلوت" قائلة لها:

– أنت أيها الغبية البلهاء... كيف يمكن أن تكوني خرقاء إلى هذا الحد؟

قدمت "شارلوت" اعتذارها على الفور قائلة:

– أوه إنني آسفة للغاية.

لم يكن يخطر ببالها أن يكون رد فعل الفتاة عنيفا إلى هذه الدرجة. وبدا ما فعلته على أنه طريقة جيدة لإخراج الفتاة من "بلاك ستاليون" دون تقديم أي مشروب لها.

عادت الفتاة تصب جام غضبها على "شارلوت" قائلة لها وهي تحاول إزالة ما علق بتنورتها من آثار المشروب الذي انسكب عليها:

– حسنا ينبغي لك أن تأسفي لما حدث أيتها الغبية. لا أعرف كيف أمكنهم أن يدعوا خرقاء بلهاء مثلك تعمل هنا. يجب عليهم الاستغناء عن خدماتك!

وبصوت مخنوق وقد مدت يدها بفوطة لمساعدة الفتاة في تنظيف فستانها قالت لها "شارلوت" معتذرة:

– أنا.. أنا لا أعرف ماذا أقول.. إنني آسفة حقا.

وبعد أن باءت محاولاتها بالفشل لمساعدة الفتاة في إزالة البقعة في فستانها، وقفت "شارلوت" عاجزة تعض على شفتها وهي تراقب محاولات الفتاة الفاشلة لإزالة البقعة الحمراء التي أصابت فستانها. والآن وقد تسبب الغضب في فقدان الفتاة لطفها ووداعتها وسلوكها المهذب، فقد بدت أكبر سنا بكثير. وعند ذلك تساءلت "شارلوت" عما إذا كانت قد أخطأت بشأن تقدير عمر الفتاة.

ونهضت السيدة "كلارك" من مقعدها وتوجهت إلى حيث وقفت

الفتاة ولفت كتفيها بذراعها قائلة لها:

– فلتهدئي الآن يا "جانيس". لقد كان ذلك حادثا عارضا ولا يبدو الأمر سيئا لهذه الدرجة. وأنا واثقة بأن البقعة سوف تزول في الغسيل إذا قمت بنقع الفستان في الماء.

أجابتها "جانيس" عابسة الوجه وموجهة نظرة حانقة إلى "شارلوت":

– اعتدت دوما إجراء تنظيف جاف لهذا الفستان.

وسرعان ما قدمت "شارلوت" عرضها:

– سوف أدفع ثمن التنظيف بكل تأكيد.

ثم أردفت تقول عندما لم تلحظ أي تأثير لكلماتها على وجه الفتاة وتعبيراته:

– وإذا لم تخرج البقعة فمن المؤكد أنني سوف أدفع ثمن الفستان.

وغمغمت "جانيس" في غضب شديد ناظرة إلى "شارلوت" باشمئزاز قائلة:

– أشك في قدرتك على دفع ثمنه.

وهنا شعرت "شارلوت" بدمها يفور في الوقت الذي كانت فيه فريسة للشعور بالذنب. فمن المؤكد أنها كانت مخطئة في سكب المشروب على فستان "جانيس"، لكن الحقيقة أن الفتاة كانت تتصرف كولد وقح أفسده التدليل!

كانت "شارلوت" على وشك القيام بعمل شيء ما بالغ الحماقة كان من الممكن أن يكلفها وظيفتها عندما أسرع "هاريس" بالتدخل قائلا لـ"جانيس":

– أعتقد أن ما فعلته معها يكفي يا "جانيس". لقد كان حادثا

www.elromancia.com

عارضا. فلم لا تنسين ما حدث وتصعدين إلى غرفتك وتغيرين فستانك؟

وللحظة بدا على "چانيس" أن لديها ميلا إلى الجدال ثم استسلمت في تجهم قائلة له:

– أوه حسنا يا "هاريس" إذا كان هذا هو رأيك فهيا بنا يا "ماريان".

واندفعت "چانيس" خارج الحجرة تاركة المرأة الأكبر سنا تهرول خلفها. وراقبتهما "شارلوت" حتى غابتا عن الأنظار ثم حولت انتباهها إلى الرجلين مرة أخرى.

وقوبلت نظرة الشكر لـ"هاريس" على تدخله لفض النزاع بحملقة باردة من جانبه، وراعها ذلك فحولت انتباهها سريعا إلى السيد "كلارك" قائلة له:

– أنا آسفة حقا لما حدث. أنا...

– أعتقد أن أمورا كهذه تحدث قال لها ذلك بلهجة تنم عن الغضب والتبرم اللذين لم يفلح في إخفائهما ثم أردف قائلا لها:

– يبدو الأمر كما لو أنك لم تتعمدي ذلك.

لم تستطع "شارلوت" الرد على ذلك خاصة أن الشعور بالذنب كان يلهب خديها فأسرعت بالانحناء فوق المائدة، وأخذت تجمع الفوط "المتكرمشة" التي تناثرت فوقها هنا وهناك ولمحت "هاريس" بطرف عينها. كان يراقبها وقد صارت عيناه الرماديتان صلبتين كالجرانيت وكان تعبير وجهه من نفس المادة المتحجرة التي لا تلين. وأخذت تبلع ريقها محاولة تخفيف حدة الجفاف في حلقها وأسرعت بصرف نظرها. لقد تملكها شعور مخيف بأنه أدرك أنها لم

تسكب المشروب بالخطأ، وسرت رعدة خوف عبر عمودها الفقاري.

– إذا سمحتما لي يجدر بي أن أعود إلى عملي الآن، قالت لهما ذلك وبعدها لم تستطع منع نفسها من العدو هاربة إلى البار. وما إن وصلت إلى البار حتى سألها "توني" قائلا:

– ماذا كنت تفعلين هناك بحق السماء؟

ولم تجد "شارلوت" وسيلة للدفاع عن نفسها سوى الكذب فقالت له:

– كان حادثا عابرا مع تلك الفتاة الجالسة مع السيد "كلارك" وصاحبه والسيدة "كلارك".

ورد عليها "توني" بقوله:

– حسنا خذي حذرك في المرة القادمة حتى لا تؤذي صديقة الرئيس.

عاجلته "شارلوت" بسؤالها:

– ماذا تقصد؟

لكنها لم تكد تواصل حديثها معه حتى توقفت فجأة حيث قفزت فكرة مخيفة إلى رأسها ثم التفتت لتنظر إلى مائدة الرجلين ثم عادت بنظرها إلى "توني" ثانية لتسأله متقصية الحقيقة بقولها:

– هل تقول إن ذلك الرجل الجالس مع السيد "كلارك" هو المالك الجديد للفندق؟

وأجابها "توني" قائلا:

– اعتقدت أنك أدركت ذلك بنفسك.

وما إن سمعت "شارلوت" ذلك حتى أخذت تقاوم غصة في حلقها وأصابها دوار طفيف فـ"هاريس" هو الرئيس الجديد.

www.elromancia.com

الفصل الثاني

وأثناء تواجدها في غرفة الراحة في وقت لاحق جلست "شارلوت" تحملق إلى وجبتها المسائية وقد استغرقت في تفكير عميق لم تجد معه شهية لتناول طعامها البسيط المؤلف من الزبادي والتفاح وبعض البسكويت. وراحت تلعب بسكين التقشير الذي عثرت عليه في كيس غذائها وأخذت تراقب انعكاس الضوء فوق الشفرة المعدنية للسكين وقد شغلها التفكير في أمر "هاريس".

لقد فاجأها رد فعله الليلة. ماذا دهاه بعد كل هذا؟ لقد كسر قلبها عندما عادت إلى المزرعة برفقة أبيها ولم يتصل بها "هاريس". وفي النهاية اتصلت به عدة مرات وتلقى مكالماتها، لكنه كان باردا وجافا معها إلى حد جعله يفضل العيش في القطب الجنوبي وليس قريبا منها على بعد ٥٠ ميلا في "دينيفر".

كانت "شارلوت" على وشك البدء في تقبل الحقيقة المؤلمة لكونه لم يكن في الواقع مهتما بمواصلة علاقته معها عندما اكتشفت أنها كانت حاملا. وعلى مدى أسبوعين عاشت في جحيم خاص بها من صنع يديها متسائلة في حيرة ماذا عساها أن تفعل وإلى من تلجأ ثم حدث أن اكتشف والدها الأمر.

كانت تخاف قليلا دائما من والدها. كانت تتصور أنه سوف يقتلها عندما اكتشف كونها حاملا وفي ورطة. لكن رد فعله أذهلها. فقد بدا شبه سعيد بذلك. فمن المؤكد أنه قد علم هوية الوالد نظرا لأن "شارلوت" لم تكن جادة في مواعدة أي شخص آخر سوى "هاريس".

عندما أصر السيد "هاربر" على إخبار "هاريس" بحقيقة الأمر اختلطت مشاعر "شارلوت". فلم يكن يخفى على أي عاقل أن مساندة والدها غير المتوقعة لها في ورطتها إنما كانت بدافع الطمع وحب المال. وبالنسبة له فالارتباط بعائلة ثرية برباط الزواج قد يؤتي ثماره..

كانت الشكوك تملأ قلب "شارلوت" بشأن رد فعل "هاريس" ففي الأسابيع الأخيرة أعلنها موضحا لها أنه حتى لو أنها كانت تنظر إلى علاقتهما على أنها حب حياتها الكبير فالأمر بالنسبة له ليس كذلك، فهو ينظر لعلاقتهما على أنها استراحة قصيرة للهو والتسلية مع قليل من الضحك، وأن كل شيء بينهما قد انتهى الآن.

ورغم ذلك فقد كانت ماتزال صغيرة السن وساذجة بما يكفي لجعلها تؤمن بالنهايات السعيدة. فبمجرد أن يكتشف "هاريس" أنها حامل وتحمل طفله بغير رأيه بكل تأكيد وسوف يدرك أن حبه لها لا يقل عن حبها له.

وعندما أصبحا مخطوبين حاولت إقناع نفسها بأن زوجها المستقبلي لم يسند إليه ذلك الدور لكونه ببساطة وبتعبير مجازي تحت تهديد سلاح مصوب نحو ظهره. ولم يكن من السهل التشبث بهذا الوهم- بل كان مستحيلا بمجرد أن فقدت طفلهما.

وترددت صوت القرقعة الهادئة لمزلاج الباب عاليا في أرجاء الغرفة مفزعا "شارلوت" حتى شتت أفكارها. وإدراكا منها للمظهر الغريب الذي لابد أن تظهر به وهي تجلس وحدها أمام طعامها الذي لم تمس منه شيئا التقطت تفاحة وأعملت شفرة سكين التقشير في قشرتها قبل أن تلتفت لترى من دخل عليها الغرفة.

سكنت يدها بلا حراك عندما قابلت عيناها عيني "هاريس".

ولعدة لحظات تعلقت عيناها بعينيه، وأدركت "شارلوت" ثقل دقات قلبها داخل صدرها لتواجده معها في الغرفة. لقد كانت "لندا" محقة واعترفت في قرارة نفسها بأن "هاريس" رجل جذاب حقا واشمازت من نفسها بعض الشيء لكونها لاتزال منجذبة إليه بعد مرور كل هذه الأعوام.

مرت دقيقة بأكملها لكن لم ينطق بكلمة واحدة. وأخيرا قالت له:

– أهلا... "هاريس".

نطقت اسمه في تحد. لقد منعها من قبل من مناداته باسمه ومن الإقرار بأن كلا منهما يعرف الآخر. والآن أما وأنهما بمفردهما ربما اعتقد بأنه يجب عليها أن تدعوه السيد "جوردان" فقد كان واضحا على ما يبدو أنه رئيسها الجديد الآن.

خرج "هاريس" من صمته أخيرا وكأنما اعترف بوجودها فناداها:

– "شارلي"..

وقد راح يومئ برأسه قليلا. وهنا نكصت "شارلوت" على عقبيها وسرعان ما حولت انتباهها إلى التفاحة التي كانت ممسكة بها ثانية. لقد كان رباطا خاصا ذلك الذي كان يربطهما فكلاهما كان يكره تصغير اسمه. وكان يناديها دوما بـ"شارلوت" لعلمه بأنها كانت تفضل ذلك.

قالت له وقد خلا وجهها من أي تعبير بينما كان الصمت آخذا في الازدياد على نحو مضجر:

– لقد مضى وقت طويل.

ولم يخالفها كثير من الحظ في تقشير التفاحة حيث أخذت تشوه

معالمها تقطيعا وتمزيقا بدلا من تقشيرها. كما أن يديها لم تكونا بحالة طبيعية.

وسألها "هاريس" قائلا:

– ليست بالمدة الطويلة بما يكفي فيما يتعلق بي. ماذا تفعلين هنا؟

وتحرك من مكانه كي يقف بجانبها حتى علاها بجسمه الطويل وتكوينه العضلي القوي.

رفعت "شارلوت" نظرها إليه وهي تقاوم شعورا بالرهبة منه قائلة له:

– أتناول عشائي.

قالت ذلك بوقاحة معسولة. وعندها خيم الغضب على ملامح "هاريس" كالركام في سماء صيفية ثم قال لها:

– إنني لم أقصد ذلك وأنت تعلمين ما أقول. أقصد ما عملك هنا في فندقي؟

– يتعين على الفتاة أن تكسب قوتها بطريقة ما.

واصلت "شارلوت" إعمال سكينها في التفاحة حتى أخذت قطعة منها فدفعت بها إلى فمها. وكانت قطعة التفاح التي تناولتها ذات مذاق مر حامضي وقال لها "هاريس" بلهجة حادة:

– فهمت. ومن المؤكد أنه لم يكن متفهما لحاجة الطبقة العاملة إلى العمل لكسب القوت.

رمته بنظرة حائرة تلقت منه في مقابلها نظرة متحجرة. وسألها قائلا:

– إذن ماذا علي أن أفعل كي أعيدك إلى الجحر الذي خرجت منه؟

ورغم علمها بأنها كانت تثير أعصابه عن عمد إلا أنها فوجئت

بحقده وضغينته، وسألته متعجبة:

– ماذا قلت؟

– لقد سمعت ما قلت. فلا تدعي البلاهة. ولقد أدركت حقيقة أمرك منذ سنوات، لكنك لم تحاولي تغيير موقفك وإصلاح ما فسد. والآن أريد أن أعرف ماذا يتعين علي أن أفعل كي أخرجك من حياتي هذه المرة. لقد دمرت حياتي ذات مرة ولن أسمح لك بتكرار ذلك ثانية!

تملك "شارلوت" الغضب الشديد فالقت ببقية التفاحة على المنضدة التي أمامها، واستدرات في مقعدها لمواجهته قابضة على سكين التقشير في يدها ثم قالت له:

– أنت أيها الوغد المغرور، لقد اقتحمت حياتي كالإعصار الذي لا يخلف وراءه إلا الدمار والفوضى. وبعد هذا كله تقول إنك أنت الذي خدعت ودمرت حياتك!

– حسبما أذكر فقد كنت أنت من فسخ خطبتنا.

وقالت له هازئة:

– لا تقل لي إنك كنت مكسور الفؤاد طوال كل هذه السنوات. تعلم جيدا أنك لم ترغب أبدا في الزواج بي. لقد فعلت فقط ما كان متوقعا مني أن أفعل. ولو أنني لم أفسخ خطبتنا لفعلتها أنت.

سألها بصوت أجش على نحو غريب قائلا:

– هل هذا سبب فعلتك؟

– وماذا عساه أن يكون غير ذلك؟

واغرورقت عيناها بدموع الغضب الشديد فأخذت تمسحها في عصبية بالغة قبل أن تمد يدها إلى ما بقي من التفاحة. كانت عازمة

على ألا تدع له الفرصة كي ينتصر عليها أو أن تستسلم له.

وفي الوقت الذي قطعت فيه جزءا من التفاحة قال لها "هاريس" بصوت رقيق:

– ما كان يجب أن تفعلي ذلك. فلم أكن أريد تلك النهاية لعلاقتنا.

من كان يعتقد أن يخدع بكلامه هذا؟ وبلهجة تنم عن الغضب والازدراء معا قالت له "شارلوت":

– استمع إلي جيدا. لقد انتهى كل شيء بيننا- لا علاقة لنا بالماضي. ولننس ما كان وسلف.

كان بإمكانها أن تحس بمراقبته لها وهي تتناول قطعة من التفاح. وبعد عدة لحظات قال لها معقبا:

– أنت محقة. كان ذلك فيما مضى. والآن ما يهمني هو الحاضر. ترى ماذا كان الدافع وراء سكب المشروب على فستان "چانيس"؟

هزت "شارلوت" كتفيها وهي تجيبه قائلة:

– كان ذلك حادثا عارضا.

– هل كان كذلك حقا؟ هل أنت واثقة بأنه لم يكن بدافع الغيرة؟

– ماذا تقصد؟

رماها بنظرة فاحصة وهو يقول لها موضحا:

– إنه ربما يكون لغيرتك من وجود "چانيس" معي. أذكر أن ذلك كان واحدا من أكبر سقطاتك منذ سنوات.

وبكلمات مختلطة غاضبة قالت له "شارلوت":

– حسنا. إن الأمر لا يتعلق بسنوات مضت الآن أيها الأحمق المغرور.

واستمر في ملاحقتها ببروده مما زاد من غضبها وهياجها. فاردفت تقول له:

– هنيئا لك بصديقتك ولكن لا تتوقع مني الترحيب بها هنا في البار. من الواضح أنك مازلت تهوى المراهقات، ولكن لا تنتظر مني خدمتهن. إنني أحتاج العمل هنا ولكنني لن أستمر فيه إذا اقتصر على خدمة صغار السن من المراهقات. ونظرت إليه نظرة احتقار قبل أن تتابع حديثها قائلة له:

– رغم أن هذا هو بارك ولك أن تفعل فيه ما تشاء. وربما تكون واسع الثراء الآن ولا يهمك توقف العمل هنا.

وسألها متجاهلا هجومها الأخير عليه قائلا:

– تقولين إنك تصورت أن "چانيس" قاصر؟

أجابته "شارلوت" محاولة إخراج ما ألهب عقلها من شكوك:

– حسنا إنها قاصر. أليس كذلك؟

كانت ترغب في ألا تثير ذلك الموضوع مطلقا. لو أنه لم يتهمها بالغيرة! لماذا يعتقد بأنها كانت غيوراً؟ ولماذا تكون غيوراً؟

قال لها باسما:

– الواقع أن "چانيس" ليست قاصرا ولو أنها سمعت تصورك عنها لكان إطراء عظيما لها جعلها تتيه فخرا واعتزازا بنفسها. إنها تعمل جاهدة كي تبدو شابة.

وما إن سمعت ذلك حتى حولت "شارلوت" نظرها بعيدا عنه وراحت تحملق إلى وعاء الزبادي الذي كان على الطاولة التي أمامها، والمرجح أنها شعرت بأن الغثيان سوف يصيبها إذا تناولته. ولذا لجأت إلى العبث بسكين التقشير.

– حسنا أما وأنك قد وبختني على سكب المشروب على فستان صديقتك فإذا كنت قد انتهيت يمكنك أن تدعني أتناول عشائي في سلام.

وأرهفت "شارلوت" سمعها على أمل أن تسمع خطواته تبتعد لكنه اقترب منها وحجب بجسده الضخم الضوء عنها ملقيا بها في الظل عندما أراح يديه على الطاولة التي أمامها ومال عليها قائلا لها:

– إنني لم أنته بعد من حديثي. إننا لم نتقابل منذ زمن طويل– وكنت أتمنى لو طال ذلك لمدة أطول. إنك مشكلة ضئيلة من مشكلات الماضي التي لا أريد لها أن تظهر في حياتي الآن.

سألته قائلة:

– إذن ماذا يفترض أن أفعل؟

– الاختفاء سوف يكون الحل الأمثل. عليك بترك عملك هنا.

راحت تنظر إليه باحتقار قائلة له:

– كم أنت وقح حقا. بغض النظر عن أي شيء آخر فقد أخبرتك من قبل أنني بحاجة إلى هذا العمل.

– فلتبحثي عن عمل آخر وسوف أساعدك إذا كانت هذه رغبتك.

وتحركت يده نحو الجيب الداخلي لمعطفه الرياضي وأدركت "شارلوت" مقصده فأخذ الدم يغلي في عروقها غضبا وحنقا ونهضت واقفة على قدميها مبتعدة عنه، ثم قالت له:

– احتفظ بنقودك لنفسك! لست في حاجة إلى صدقة منك أو من غيرك. إنني أعمل كي أكسب قوتي! أنا أعمل هنا ولن أترك عملي إرضاء لك فحسب. يمكنك فصلي من العمل إذا أردت ألا تراني هنا.

www.elromancia.com

لكنك إن فعلت ذلك فماذا سوف يكون موقفك أمام النقابة سوف نرى!

ونهاها عن المضي في حديثها قائلا لها:

– فلتهدئي وتتعقلي.

كان قد أخرج حافظة نقوده وأمسك بها في يده فاردف قائلا لها:

– لن تخسري بتخليك عن عملك هنا.

صرخت في وجهه قائلة:

– فلتتعقل أنت فيما تقول!

لقد كرهت عملها، وكرهت الزبائن الجدد، والجو المعبأ بالدخان والوقوف على قدميها لساعات طويلة، والزي القصير العاري المتوقع منها ارتداؤه. في ظروف أخرى كان من الممكن لها أن تثب فرحا عندما تتاح لها فرصة ترك العمل. ولكن ليس بشروط "هاريس" وليس لمجرد كونها مشكلة تعقد حياته. أليس لها الحق في أن تعيش وتتنفس وتواصل مشوار حياتها دون وصاية أو إذن من "هاريس جوردان" الطاغية؟

كانت عيناها متحجرتين عندما قابلتا عينيه الرماديتين الهائجتين. ولعدة لحظات أخذا يتبادلان النظرات ثم حول "هاريس" نظره إلى يديها وخيمت على ملامحه نظرة ارتياك.

نظرت "شارلوت" لأسفل فوجدت سائلا قرمزي اللون ينساب من بين أصابع إحدى قبضتيها. ويتجمع في جداول أخذت تسلك طريقها عبر مؤخرة يدها لتتساقط كحبات المطر على أرضية الغرفة. وسقط سكين التقشير على الأرضية محدثا صليلا عندما انفرجت أصابعها وراح الدم ينساب من جرح عميق وطويل

في راحة يدها.

غمغمت "شارلوت" بينما أخذت تضغط براحة يدها غير المصابة على الجرح كي توقف تدفق الدم قائلة:

– اللعنة.

كان "هاريس" واقفا بجانبها آنذاك فوضع ذراعه حول كتفيها وأخذ يحثها على المضي نحو الحوض في ركن الغرفة.

قاومته "شارلوت" قائلة له:

– لا عليك. دعني وشأني وسوف أقوم بتضميد جرحي.

قال لها عابسا:

– هذا سوف يفيد كثيرا.

ونفد صبره عند وصولهما إلى حوض الغسيل وجذب يدها غير المصابة بعيدا عن الجرح وانفجر في وجهها قائلا لها:

– ياله من عمل أحمق! ماذا كنت تظنين وأنت تعبثين بالسكين هكذا؟ سوف يحتاج جرحك إلى غرز. وفتح الصنبور وبعد تحققه من حرارة الماء أمسك بيدها المصابة ودفع بها تحت تيار الماء المنهمر.

تمتمت "شارلوت" قائلة له:

– لم أتعمد ذلك.

وشعرت بوخز في يدها كان الماء ينهمر على الجرح واغرورقت عيناها بدموع الألم. لقد كان "هاريس" محقا. فمن الحماقة القيام بفعل كهذا.

– حسنا. كل ما أستطيع قوله هو أنك عرضة للحوادث دائما. وكم يدهشني بقاؤك على قيد الحياة طيلة كل هذه الأعوام.

وعاجلته بقولها:

– ألم تكن ترغب في بقائي على قيد الحياة حتى لا أكون مشكلة تعقد حياتك الآن؟

– كفاك سخفا وهراء.

قال لها ذلك ثم سحب يدها من تحت صنبور الماء وشرع في تجفيفها برفق بمنشفة ورقية. وقد أوقف الماء تدفق الدم مؤقتا لكن عاد للتدفق ثانية عندما أنهى "هاريس" مهمته.

تناول "هاريس" منشفة جديدة وقام بطيها وضغطها فوق الجرح ثم قام بثني أصابعها فوق هذه الطية الورقية لإبقائها بموضعها.

– لابد من أن هناك صندوق إسعافات أولية بمكان ما هنا. سوف نضع ضمادة على الجرح حتى أتمكن من أخذك إلى المستشفى لخياطته.

اعترضت "شارلوت" قائلة له:

– لا أستطيع الذهاب إلى المستشفى.

كان رده الوحيد على ذلك الاعتراض نظرة ساخطة إليها قبل أن يدع عينيه تجولان في أرجاء الغرفة بحثا عن صندوق الإسعافات الأولية. وما إن وقع نظره على ضالته حتى تناوله ووضعه على الطاولة ثم فتحه قبل أن يأمرها قائلا:

– تعالي إلى هنا.

اعتقدت بأنه كان يتعين عليها أن تدعه يضمد لها جرحها. فقد كان الجرح بيدها اليمنى ولم تكن تقوى على تضميده بنفسها. ورغم ذلك قالت له:

– كان يجب علي أن أعود إلى البار منذ خمس دقائق. ليس لدي

الوقت كي أذهب إلى المستشفى.

أخبرها "هاريس" عندما انتهى من لف راحة يدها المصابة برباط جمع بين القطن والصوف قائلا:

– لن تكملي عملك الليلة. سوف أذهب لأبلغ عامل البار بما حدث ثم أعود إليك.

وبنظرة إحباط ويأس من جدوى الاستمرار في جداله سألته قائلة:

– وماذا بشأن صديقتك؟ ألن تفتقدك؟ سوف أحضر تاكسي.

وابتسم لها ساخرا ثم قال لها:

– سوف أقوم بتوصيلك وأشكرك على أنك ذكرتني بـ"جانيس" وسوف أترك لها رسالة أخبرها فيها بمحل ذهابي. وبعد أن انتهى من تضميد جرحها أعاد إلى صندوق الإسعافات الأولية ما أخرجه منه ثم أغلقه قبل أن يعيده إلى مكانه.

وعندما استدار خلفه كي يغادر الغرفة قالت له:

– حسنا. لن أستطيع الخروج معك من هنا هكذا.

ونهرها "هاريس" قائلا:

– لا تكوني سخيفة.

أردفت تقول له موضحة ما تعنيه:

– لا تتوقع مني ارتداء هذا الفستان خارج البار! إنه غير لائق للخروج به إلى الشارع.

وهنا أطال النظر إليها ثم قال لها:

– وهل هذا يضايقك؟

رمته "شارلوت" بنظرة اشمئزاز ونفور قبل أن تتجه إلى خزانتها لإخراج ملابسها التي ترتديها عند مغادرة البار.

www.elromancia.com

وعاد "هاريس" يقول لها:

– إذا كان زي العمل يضايقك هكذا. فلماذا ترتدينه؟ ولماذا تعملين هنا؟ ابحثي لك عن عمل آخر مختلف. وقد أخبرتك لتوي بأنني سوف أساعدك، وهذا وعد مني.

استجمعت "شارلوت" كرامتها وهي تخطو نحو باب غرفة تغيير الملابس ثم توقفت لبرهة والتفتت إليه ثم قالت له:

– لا تقلق يا "هاريس". إن سرك التافه القذر في مأمن معي.

وداخل الملجأ الآمن لغرفة تغيير الملابس أخذت "شارلوت" تكافح كفاحا مريرا لفتح سحاب زيها الخلفي. فقد كانت تستخدم يدا واحدة لإنجاز تلك المهمة شبه المستحيلة بعدما حدث لليد الأخرى. وبعد مرور عدة دقائق وبضع لعنات تمكنت من خلع الزي. ولم تسمع الباب يفتح وهي منهمكة في ذلك.

وتجمدت في مكانها دون حراك عندما التقت عيناها بعيني "هاريس". وبدا على وجهه الذهول وهو يتأمل جسدها شبه العاري. وأتاه صوتها وهي تسأله قائلة:

– ماذا تفعل هنا؟

وكما لو كان رجل يحلم هز رأسه ثم دلف إلى داخل الحجرة مغلقا الباب خلفه، فأسرعت "شارلوت" تستر ما انكشف من جسدها وأمسكت بقميص أمامها.

وهنا أتاها صوت "هاريس" رقيقا وهو يقول لها:

– أرجوك يا "شارلوت" لا تفعلي.

وعادت تقول له بصوت مرتجف:

– يجب ألا تكون هنا الآن. إنني أحاول ارتداء ملابسي.

ولم يجبها "هاريس" لكنه غمغم بعد أن ألصق وجهه بخصلات شعرها الحريرية الشقراء قائلا لها:

– لقد ألقيت بي إلى الجنون.

ومع اقترابه أكثر فأكثر منها شعرت بنشوة عارمة تجتاحها وتسري في كيانها فقالت له بنبرات صوت أنثوي ملتاع:

– "هاري" حبيبي. هل أنت هنا حقا بجانبي؟

وفجأة شعرت "شارلوت" بجسد "هاريس" يتصلب عندما سمعا وقع أقدام تدور حول غرفة الراحة، ثم سمعا بابا يغلق ثم ساد صمت وسكون واسترقت "شارلوت" النظر إلى وجهه فوجدته قد أفاق من ذهوله وغفوته. ولم تمر ثانية واحدة حتى كان "هاريس" يدفعها بعيدا عنه بكلتا يديه وقد لوت فمه علامات الاستياء من نفسه واستنكاره لفعلته تلك فصرخ في وجهها قائلا لها:

– أنت أيتها الساحرة! فلتستري جسدك بحق السماء.

شرعت "شارلوت" في ارتداء ملابسها قائلة له:

– إنني لم أدعك إلى هنا.

– ولم تطردني أيضا.

كان محقا فيما قال. لكن رغبة جنونية تملكتها وأفسدت عليها عقلها فرحبت بتقربه منها دون تحفظ. لقد أغواها. وقالت له ساخرة:

– لا تلمني لما حدث! كما أن صديقتك لن تعلم بأنك كنت هنا، فلماذا القلق والتوتر إذن هكذا؟

وبوجه عابس أجابها بقوله:

– إن "جانيس" ليست مجرد صديقة.

www.elromancia.com

إنها المرأة التي سوف أتزوجها. وبعد ما حدث توا أعتقد بانه ينبغي عليك أن تكوني قد أدركت السبب وراء عدم رغبتي في تواجدك هنا.

طأطأت "شارلوت" رأسها واحتمت عيناها برموشها. ففي السنوات الأخيرة اعتقدت بأن "هاريس" قد تزوج. فمعظم الرجال يفعلون ذلك قبل بلوغهم سن الثلاثين. وهكذا فلم يكن من الواجب أن يسبب اكتشاف أمر خطبته صدمة لها على أية حال. لكن ما حدث كان العكس. فقد شعرت "شارلوت" بصدمة عنيفة أذهلتها تماما.

– إنك.. إنك أشبه ما تكونين بساحرة شريرة جردتني من حواسي.

قال "هاريس" ذلك ثم هز رأسه وقد عقد النفور الذاتي فمه وأردف قائلا لها:

– لن أدع ذلك يحدث ثانية لا أستطيع. والآن فلترتدي ملابسك. وسوف أكون في انتظارك بالبار. إن يدك بحاجة إلى الخياطة.

كانت الضمادة الملفوفة ماتزال بموضعها، لكن القطن كان مخضبا بالدم حيث نزف الجرح ثانية. قالت له "شارلوت" بلهجة صارمة:

– سوف أستقل تاكسي.

لكنه أصر بنبرة لم تدع لها مجالا للجدال معه قائلا لها:

– لا. لن تستقلي تاكسي. سوف أقوم بتوصيلك بسيارتي.

وبعدها غادر الغرفة وتركها وحدها.

الفصل الثالث

عندما وصلت "شارلوت" إلى البار أتاها "توني". وقالت له "شارلوت":

– آسفة لوضعك في هذا المأزق. لقد كان حادثا أحمق.

– لا تقلقي بهذا الشأن. فقد رتب السيد "جوردان" للإتيان بأحد العاملين بالمقهى كي يحل محلك.

ولما لم تجبه نظر "توني" إلى أسفل إلى يدها المصابة وقال لها:

– ألا تعتقدين بانه ينبغي عليك العناية بهذا الجرح؟ لابد أنه يؤلمك كثيران الجحيم.

وبوجه متجهم أجابته بقولها:

– هذا صحيح في الواقع.

وربما كان ذلك هو السبب في شعورها بالاعتلال قليلا عندما أحست بمجيء "هاريس" خلفها. لم ترد مواجهته، لكنها حملت نفسها قسرا على الالتفات.

كانت خطيبته برفقته متعلقة بذراعه كما لو كان حبل السلامة بالنسبة لها. وفي الأضواء الأكثر لمعانا حول البار كان بإمكان "شارلوت" إدراك خطئها بشأن تقدير عمر الفتاة. لم يكن وجهها خاليا من دهانات التجميل المختلفة التي استخدمتها يد خبيرة بأصول الماكياج حتى إنه لم يكن من الممكن اكتشاف العيوب التي يخفيها هذا الماكياج إلا في ضوء أكثر كثافة. كانت قد استبدلت بفستانها المتسخ آخر نظيفا وشبابي الخطوط. ومع ذلك لم تنخدع "شارلوت" هذه المرة بمظاهر الشباب على "جانيس"، ولذا ساورها الشك في أن

خطيبة "هاريس" أكثر قربا من الثلاثين وليس السابعة عشرة أو الثامنة عشرة كما كان تقديرها لعمرها من قبل.

قطع عليها سؤال "هاريس" المقتضب تفحصها لصاحبته حيث قال لها:

– هل أنت جاهزة للذهاب؟

– أجل ولكن لا داعي لأن تقوم بتوصيلي بسيارتك. عادة ما تكون هناك تاكسيات متوقفة أمام الفندق. وسوف أطلب من "موراي" إحضار واحد منها إلي.

– قلت لك إنني سوف أقوم بتوصيلك وسوف أفعل.

رمته "شارلوت" بنظرة يأس بائسة. فربما كان "هاريس" عنيدا أكثر من اللازم! ونظرت إلى خطيبته التي لم تكن تبدو أقل ضيقا منها أمام إصراره على توصيلها.

وقالت له "جانيس" وهي تبتسم لها:

– عزيزي. إذا كانت "شارلي" تفضل أن تستقل تاكسي...

لكن "هاريس" لم يدعها تكمل عبارتها وقاطعها بإصراره العنيد قائلا لها:

– سوف أقوم بتوصيلها. وأعتقد بأنه ينبغي أن نتوقف عن الجدال ونتحرك.

مد "هاريس" يده كي يمسك بمرفق "شارلوت" لمرافقتها إلى خارج الردهة، فقالت له خطيبته في لهجة غاضبة:

– ولكن يا "هاري"...

وهنا تساءلت "شارلوت" عما إذا كان قد ضايقه كما ضايقها سماع "جانيس" تناديه بتلك الطريقة. ومن المؤكد أن نبرة صوته

كانت حادة بصورة كافية عندما قال لـ"جانيس":

– "جانيس" لا أريد الاستمرار في مناقشة هذا الأمر أكثر من هذا.

صوبت إليه خطيبته نظرة فزع في حين راته "شارلوت" يعض على شفته السفلى ثم قال لـ"جانيس":

– آسف يا حبيبتي. لم أقصد مخاطبتك بهذه اللهجة الحادة. لن يستغرق هذا الأمر وقتا طويلا وسوف أراك في غرفتك عند عودتي.

ونظر إليها "هاريس" باسما وملاطفا. ولم تتمالك "جانيس" نفسها فرمت "شارلوت" بنظرة متحيرة ثم أعادت النظر إلى خطيبها رافعة رأسها قبالته فطبع قبلة رقيقة على شفتيها. وانتهز "هاريس" فرصة اقتراب رأسه من رأس "جانيس" فهمس بشيء ما في أذنها لم تسمعه. ورغم ذلك فعندما التفتت "جانيس" ناظرة إليها مرة أخرى كانت نظرة السخط والاستياء قد اختفت من وجهها وأخذت أساريرها في الانفراج ثم قالت له:

– كما يحلو لك يا عزيزي.

وحول "هاريس" انتباهه إلى "شارلوت" ثانية وقد ارتسمت على وجهه علامات الرضا، فراح يحثها على مغادرة المكان. وفي طريقهما عبر الردهة المضاءة على نحو مبهر متوجهين إلى باب الخروج أبدت "شارلوت" ملاحظة قائلة له:

– لو أنني كنت خطيبتك وتحدثت إلي بطريقتك الجافة كتلك التي تحدثت بها مع الفتاة فمن المؤكد أنك لم تكن ستجد ترحيبا من جانبي في غرفتي عند عودتك! ولم يكن سيجدي معي كل عبارات الاسترضاء والملاطفة التي كنت ستسوقها لي.

فقال لها "هاريس" ببرود وهو يفتح الباب لها:

www.elromancia.com

– لكنك لم تعودي خطيبتي. وربما كان ذلك هو السبب في أنك لم تصبحي خطيبتي.

وعندما وصلا إلى باب السيارة توقفت "شارلوت" عندما فتح لها باب السيارة ثم قالت له:

– منذ كل هذه الأعوام كنت متيمة بك إلى درجة أنني كنت دائمة التفكير في أية وسيلة يمكنني اللجوء إليها كي أسترد حبك. ولم يخطر ببالي أبدا أن ما كنت أحتاجه حقا هو أن أحول نفسي إلى ممسحة للأرجل عند الباب كي تمسح فيها قدميك طوال الوقت– شكرا لك على أية حال! وهنيئا لك بـ"چانيس"– وإن كنت أرثي لحالها معك.

قالت له ذلك ثم ألقت بنفسها على المقعد وأغلقت الباب الذي بجوارها. وعندما لحق بها "هاريس" وجلس خلف عجلة القيادة لسيارته الكاديلاك الفارهة عقد فمه في صلابة ثم قال لها:

– إن "چانيس" ليست ممسحة أقدام ببابي وحتى إن كانت كذلك فهذا الأمر لا يعنيك. وبالنسبة لحبك لي منذ كل تلك السنوات...

وهنا استدار "هاريس" في مقعده كي ينظر إليها بعينيه القاسيتين المتحجرتين ثم أردف قائلا لها في وحشية:

– أقر وأعترف لك بأنك قد قطعت شوطا عظيما حقا في حملي على عرض الزواج عليك لكنني أعتقد بأن الحب لم يكن له أي دور في ذلك. والآن أخبريني كيف حال تجارة الماشية لدى والدك هذه الأيام؟ هل مازال يقوم باستخدامك طعما لبيع أبقاره؟

ومال "هاريس" على عجلة القيادة وأدار السيارة. وبينما كان ينتظر فسحة في المرور كي يخرج بسيارته من الممر تابع حديثه معها

فأضاف قائلا لها:

– يالها من مصادفة أنه ما إن اكتشف والدك أنه لن يقدر على نهب أنسبائه مستقبلا حتى فسخت خطبتنا.

لقد كانت مصادفة حقا رغم أن "شارلوت" لم تكلف نفسها عناء إخباره بذلك. لقد قطعت كل صلاتها بأبيها منذ تلك السنوات التي مضت، ولذا لم يكن الأمر يهم كثيرا الآن. لقد ثارت ثورة أبيها وغضب منها بشدة عندما أعادت لـ"هاريس" خاتم الخطوبة. وعند ذلك فقط أدركت حقيقة الصفقة التجارية التي كان يأمل في إتمامها مع أنسبائه في المستقبل. لقد أراد منهم أن يمولوا مشروعا للتغذية تحت إمرته ثم يؤمنون له سوقا جاهزا للأبقار التي توشك أن تهلك في فندقهم، ولذا فقد اعتبر فسخ خطبتها المسؤول الأوحد عن فشل خطته بعد مرور كل هذه السنوات، لكنه عاد واكتشف مؤخرا أن ذلك لم يكن السبب الأوحد لفشل صفقته التجارية.

وفي الوقت الذي انشغل فيه أبوها بانتكاسات تجارته، جهل تماما حقيقة أن ابنته تمر بمحنة عاطفية طاحنة آلمتها بدنيا وذهنيا بعد تعرضها للإجهاض وفشل خطط زواجها. لم يكن أبوها يهتم إلا بأحلامه، بجمع الثروة عن طريق عائلة "جوردان" لكن أحلامه تلك ذهبت أدراج الريح. وما إن أدركت أنه كان يستغلها لتحقيق مآربه الشخصية وأن تعاطفه معها عندما اكتشف أمر حملها لم يكن سوى تعاطف زائف حتى جن جنونها ووقعت في حيرة من أمرها.

وسألها "هاريس" بلهجة قاسية بعد أن غرقت في صمتها طويلا:

– لا شيء لديك تقولينه دفاعا عن نفسك؟

وسألته بلهجة غلب عليها الضجر والملل:

www.elromancia.com

– ألهذا كان إصرارك على توصيلي إلى المستشفى بسيارتك؟ كي نتجادل سويا وترميني باتهاماتك وتنبش الماضي؟

ولم يجبها مباشرة لكنه ركز انتباهه على قيادة سيارته الضخمة إلى داخل مرأب السيارات التابع للمستشفى. وعندما وجد مكانا شاغرا قاد سيارته إليه حيث أوقفها هناك. ووسط السكون الذي أحدثه توقف محرك السيارة عن الدوران التفت إليها وقد راح يتفحص ملامحها على الضوء الشاحب لمصباح الشارع ثم قال لها:

– لا. لم يكن هذا هو السبب في رغبتي في القيام بتوصيلك بسيارتي. ولم تكن لدي النية للجدال. ولكن ربما أردت أن أجعلك تشعرين بالذنب قليلا والضرب على وتر ما من أوتار طبيعتك الأفضل من ذلك. ألا يمكنك أن تدركي الآن مدى استحالة مواصلتك العمل في "فوت هيلز" التي أمتلكها الآن؟

راحت "شارلوت" تسأل نفسها: "لماذا لم يبق بعيدا عنها؟ وما هي تلك الخدعة التي حاكها القدر كي يدفع به إلى شراء هذا الفندق دون غيره من مئات الفنادق في "كولورادو"؟" ولقد كان هناك شيء ما غير عادل في اعتقاده بأنها يجب أن تكون الطرف الذي يضحي دوما ويأتي بالحلول الجذرية للمشكلات.

أجابته قائلة:

– من المفترض أن أرحل وأترك عملي. لم أتصور أن يخطر ببالك أنه بإمكانك بيع الفندق ثانية. إنني أعمل به قبل قدومك إليه.

– لقد استغرق مني التفاوض لشرائه شهورا. وقد بدأت في اتخاذ الإجراءات اللازمة لنقل مقر "جوردان" إلى الطوابق العلوية.

وهز رأسه قبل أن يردف قائلا لها:

– سوف يكون من الأيسر لك كثيرا أن تتركي عملك هناك.

مالت "شارلوت" إلى الخلف في مقعدها وأخذت تحك صدغها بيدها السليمة ثم قالت له:

– هل حضرنا إلى هنا للحديث بهذا الشأن؟ أعتقد أنك قمت بتوصيلي إلى هنا من أجل علاج يدي المصابة.

وخفف ما رآه من تهالك "شارلوت" من صرامة قسمات وجهه فقال لها:

– آسف يا "شارلوت". أنت محقة. يمكننا الحديث عن ذلك غدا.

ونزل من سيارته ودار حولها لمساعدتها على النهوض من مقعدها. واقترح عليها عندما رآها تترنح قليلا عند وقوفها قائلا لها:

– ربما كان من واجبي أن أحملك.

عندما استعادت "شارلوت" توازنها أخذت تحملق إليه. وكادت أن تضحك عاليا عند سماعها فكرة حمله لها. ألم يعلم بتأثير ذلك عليها؟ كما أنه لم يكن بمأمن أيضا من تأثير ذلك عليه هو الآخر، وخير شاهد على ذلك ما حدث بينهما في غرفة تغيير الملابس. إن وجودها بين ذراعيه سوف يكون ضربا من اللعب بالنار لكليهما.

وسرعان ما التفتت "شارلوت" بعيدا وبدأت تمشي قاصدة المدخل المضاء بصورة مبهرة إلى وحدة الطوارئ قبل أن تفعل شيئا ما أكثر حماقة من قطع يدها بالسكين.

لقد جاء بها "هاريس" إلى مستشفى على مستوى عال من الكفاءة. ولم يمض وقت طويل حتى كان الجرح الغائر براحة يدها قد أغلق بإحكام بثلاث غرز ولفت يدها برباط من الشاش الرقيق. لقد قاموا "بتجميد" يدها لخياطتها كي لا تشعر حتى بوجود الجرح الآن.

www.elromancia.com

وتحسبا لتسببه في مضايقتها في وقت لاحق من تلك الليلة فقد أعطوها زجاجة صغيرة من المسكنات لتخفيف حدة الألم.

من كان يتصور أن إجراء طبيا بسيطا كهذا يمكن أن يكلف كل هذا المبلغ من المال للقيام به؟

رفعت "شارلوت" بصرها لأعلى بعد أن ألقت نظرة على فاتورة الحساب وابتسمت لموظفة الاستقبال الواقفة أمامها قائلة لها بلهجة عذبة:

– هل بالإمكان أن ترسلوا لي الفاتورة بريديا؟

وتجهمت الفتاة قبل أن تجيب "شارلوت" بقولها:

– نفضل تسوية الحساب الآن.

عندما لاحظت علامات السخط والاستياء على وجه "شارلوت" أضافت الفتاة قائلة لها:

– إذا كانت هناك مشكلة يمكنك العودة في الصباح ومناقشة الأمر مع أحد المشرفين. فربما كان بمقدورهم الترتيب لوضع جدول زمني للدفع.

عضت "شارلوت" على شفتها السفلى قائلة للفتاة:

– حسنا...

لقد دأبت على تجنب مصيدة الأقساط الشهرية مفضلة الدفع أولا بأول. وكان لديها بعض النقود في حساب التوفير وإذا ما اقتصدت في مصروفاتها بصورة أكبر عند تسلمها راتب الشهر المقبل فمن الممكن أن تتدبر أمر دفع الفاتورة. وعندما مدت يدها إلى حقيبة يدها وأخذت تبحث بداخلها عن دفتر الشيكات الخاص بها راودها الأمل في ألا يكون قسم الحسابات بهذا المستشفى سريعا في صرف

الشيكات كسرعته في إعداد الحسابات، نظرا لأنها كانت تعتزم إدخال مبلغ من المال في حسابها لتغطيته. ولم تكد تخرج حافظة نقودها حتى ظهر "هاريس" خلفها قائلا لها:

– إذن فأنت هنا. لقد نزلت إلى كافيتريا لتناول فنجان من القهوة وعندما عدت لم أجدك.

وأخذ "هاريس" ينظر من فوق كتفها إلى فاتورة الحساب. ولم تلحظه "شارلوت" وهو يدخل يده في الجيب الداخلي لسترته الرياضية حيث انشغلت بالبحث عن دفتر الشيكات داخل حقيبة يدها. لكنها عندما التفتت إليه كان قد أخرج دفتر شيكاته وراح يكتب فيه.

وسألته قائلة:

– ماذا تظن نفسك فاعلا؟

أجابها دون أن يتوقف عن كتابة المبلغ المستحق والبدء في توقيع الشيك قائلا:

– سوف أدفع الفاتورة.

قالت له "شارلوت" بلهجة حازمة:

– إنني أدفع فواتيري بنفسي. أشكرك.

وبعدها ألقت بدفتر شيكاتها على كونتر الاستقبال والتقطت قلما لتكتب فيه. لكن "هاريس" تجاهلها منهيا توقيع الشيك قبل أن يعيد النظر إليها قائلا لها:

– إنني أشعر بمسؤوليتي عما حدث لك. فلو أننا لم نكن نتجادل...

وجاءه ردها وهي تقول له:

www.elromancia.com

– لقد كانت غلطتي أنا الأخرى. ولا أريد منك دفع فواتيري.

وبعد أن اعتبرت النقاش في هذا الأمر قد أغلق بدأت "شارلوت" في تحرير الشيك الخاص بها. وقد ضايقها ملاحقة عيني "هاريس" لها أثناء قيامها بذلك. ولم يكن من السهل عليها أن تكتب بيدها المربوطة والتي كانت ماتزال تشعر فيها بتنميل بتأثير المخدر الموضعي. ولذا لم تتقن إعداد الشيك الأول فمزقته في غضب شديد. وبعد جهد ومشقة وطول تركيز عميق انتهت من إعداد شيك آخر على نحو مقبول وجذبته خارج دفتر شيكاتها. وقبل أن تتمكن من تسليمه للموظفة المسؤولة اقترب منها "هاريس" قائلا لها بصوت منخفض:

– ألا تعتقدين بأنه ينبغي عليك أن تدعيني أدفع هذه الفاتورة؟

ذكرته "شارلوت" قائلة له بلهجة غاضبة:

– قلت لك إنني سوف أتولى ذلك بنفسي. لا أحتاج إلى صدقتك.

سالها متشككا ومختلسا النظر إلى دفتر شيكاتها الذي كان مايزال مفتوحا:

– أحقا ما تقولين؟

وتعقبت عيناها عينيه وانعقدت شفتاها عندما أدركت ما كان ينظر إليه. لقد أدرك "هاريس" الفضولي المتمرس حقيقة الأمر أيضا!

غمغمت وهي تمر به مندفعة إلى كونتر الاستقبال وتسلم الشيك للموظفة هناك قائلة:

– سوف يكون كل شيء على ما يرام.

كانت تعلم أنه يراقبها وقد تملكه الغيظ والسخط وهي تنتظر

موظفة الاستقبال كي تختم فاتورتها بختم "تم الدفع". وبمجرد أن سلمتها الفتاة الفاتورة دارت على عقبيها وأسرعت نحو باب الخروج.

لحق بها "هاريس" خارج الباب. وبينما كان يمشي معها سالها قائلا:

– تعلمين أنه من غير القانوني تحرير شيك ناقص القيمة، أليس كذلك؟ ومن المتوقع أن هذا الشيك سوف يقطع طريقه إلى البنك في قفزة واحدة!

– هذا لا يعنيك. ولن يقفز الشيك إلى البنك كما تزعم. لدي بعض النقود في حساب التوفير. وكل ما يتعين علي القيام به هو إدخال بعض النقود في حسابي لتغطيته.

سالها بلهجة متشككة قائلا:

– هل أنت واثقة بذلك؟

لم تجبه "شارلوت" لكنها أسرعت الخطى وقد ركزت بصرها على السيارة التي كانا يتجهان نحوها. وكان الدفء يشيع في وجنتيها على نحو واهن. لم يكن هناك ما يكفي من المال في حسابها لكنها إذا حصلت على بقشيش جيد في نهاية هذا الأسبوع فسوف يسير كل شيء على ما يرام.

عندما وصلا إلى السيارة كان عليها أن تنتظره كي يفتح لها باب السيارة. وعندما هم بفتح باب السيارة سالها بلهجة خشنة قائلا:

– هل لديك ما يكفي من نقودك في حساب توفيرك لتغطية الشيك؟

رمته بنظرة تنم عن الضجر والملل ثم قالت له:

– هلا توقفت عن إقحام أنفك الكبير في شؤوني المالية؟ فالأمر لا

www.elromancia.com

يعنيك.

ودون أن تنتظره كي يفتح لها الباب، جذبت هي الباب وفتحته ثم ألقت بنفسها على المقعد الأمامي ثم أغلقت الباب بعنف مما جعل السيارة تهتز.

وللحظة راح "هاريس" يحدق إليها من خلال نافذة السيارة ثم دار حول مقدم السيارة ليتخذ مكانه خلف عجلة القيادة.

وداخل السيارة مد يده في جيبه وأخرج رزمة من الأوراق المالية دفع بها إليها قائلا لها بلهجة آمرة:

– خذي هذا المبلغ وضعيه في حسابك الجاري غدا.

– لن آخذ نقودك!

وهنا وجه إليها نظرة قاسية وغاضبة وارتعدت فرائصها قليلا. ولف الصمت الثقيل ذلك الحيز الصغير للغاية داخل السيارة قبل أن يسقط رزمة الأوراق المالية في حجرها قائلا لها:

– خذي هذا المبلغ ولتعتبريه سلفة على راتبك. وسوف أتأكد من خصمه من شيك راتبك القادم.

وفي تمرد راحت "شارلوت" تنظر لأسفل حيث استقرت الأوراق المالية في حجرها. ودون أن يعطيها الفرصة للاستمرار في مجادلته أسرع "هاريس" بإدارة السيارة حيث قادها إلى مخرج مرأب السيارات التابع للمستشفى. وسألها على نحو مقتضب قائلا:

– أي طريق نسلك؟

أشارت "شارلوت" إلى اليمين. وعندما اندفع بسيارته إلى الشارع سألته بوجه عابس:

– حقا سوف تتأكد من خصمه من شيك راتبي القادم؟

– نعم سوف أتأكد من ذلك بنفسي.

وبلهجة حاقدة أقرت له بمعروفه قائلة له:

– حسنا... أشكرك.

التقطت الأوراق المالية ووضعتها داخل حقيبتها. وطالما أن المبلغ سوف يتم خصمه من راتبها اعتقدت بأنه لا بأس من أخذه ولا عيب في ذلك.

ظلت السيارة تنطلق بهما لبضع دقائق، وبينما أخذت "شارلوت" تشير إلى اتجاهات الطريق المؤدي إلى شقتها، خطر ببالها شيء ما فقالت له "هاريس":

– اعتقدت بأنك أردت مني أن أترك عملي في "بلاك ستاليون"؟ إنني إن فعلت. فكيف يتأتى لي رد المال الذي اقترضته لي؟ ولم يجبها مباشرة وذلك أنه لم يأخذ هذا الأمر في اعتباره على ما يبدو. وبعد إلقائها نظرة سريعة على صورته الجانبية مدت "شارلوت" يدها إلى حقيبة يدها وفتحتها لتسترد ما سبق أن وضعته فيها من أوراق مالية.

وعندما أدرك "هاريس" ما كانت ترمي إليه قال لها متعجبا:

– أوه، بحق السماء لا داعي للخوض في هذا الحديث ثانية. فلتحتفظي بالنقود... وبعملك اللعين إنهاء للجدل في هذا الأمر! إنه فندق كبير وسوف يبتعد كل منا عن الآخر فحسب!

– أنا... أنا...

ولم تعرف "شارلوت" بماذا تجيب. والآن أما وأنه قد سمح لها بالبقاء والاحتفاظ بوظيفتها فقد وجدت نفسها تتوق إلى الرحيل. ما جدوى ذلك؟ من المسلم به أن "فوت هيلز" كانت مجمعا كبيرا،

www.elromancia.com

ولكنها كانت ذو جو أشبه بجو البلدة الصغيرة. فكل شخص يعرف ما يفعله الآخر والشائعات والقيل والقال وبخاصة تلك التي تتعلق بأصحاب الأعمال كانت منتشرة بوفرة، فهل كانت ستتمكن إذا رحلت من الحصول على سرد تفصيلي دقيق لحياة "هاريس" اليومية؟ حياة "هاريس" وحياة "چانيس"؟ كانت تعلم يقينا بغيرتها من "چانيس". وفي وقت سابق بالبار عندما رأت "هاريس" يقبل خطيبته أحست كما لو أن سكينا يمزق قلبها. وكان يكفيها فحسب تخيل "لندا" مقبلة عليها كل مساء حاملة معها أدق تفاصيل الإعداد لزواج "هاريس" و"چانيس" – والليالي التي تجمعهما فيها غرفة واحدة.

ونظرت خارج السيارة عبر حاجب الريح الزجاجي ورأت الشارع الذي تعيش فيه قد ظهر أمامها قالت له:

– عليك بالدوران هنا. إنه ثالث منزل على اليمين.

وعندما فعل ما طلبته منه قالت له "شارلوت" بهدوء:

– سوف أبحث عن عمل آخر. لست متأكدة من الكيفية التي سوف أرد لك بها النقود، ولكن لا تقلق فسوف أردها على أية حال.

تسلل "هاريس" بسيارته إلى داخل المكان المخصص لوقوف السيارات أمام المبنى الشيكتوري القديم الذي تقع فيه شقتها. وبعد أن أوقف محرك سيارته عن الدوران قال لها وهو يهز كتفيه:

– كما تشائين.

واتجهت يده إلى مقبض باب السيارة فاسرعت "شارلوت" تقول له:

– لا داعي لأن تودعني حتى الباب. ودون أن تنتظر منه جوابا

نزلت من السيارة إلى رصيف الشارع. ومع ذلك فقد تجاهل "هاريس" ما قالته ولحق بها بعد لحظة.

وقال لها موضحا موقفه وهو يرافقها عبر الطريق:

– لا أحبذ دخول امرأة إلى شقة ليس بها أحد في وقت متأخر من الليل وحدها.

– إنني أفعل ذلك معظم الليالي على الرغم من أن الشقة نادرا ما تكون خاوية كما تظن.

وصلا إلى باب شقتها وجاء الضوء المتوهج لجهاز التلفاز مؤيدا صحة كلامها.

– لم أعرف أنك تعيشين مع فتاة أخرى.

قالت له "شارلوت" بلهجة بسيطة ودون تكلف:

– إنها ليست فتاة.

ورأت عينيه تتجه في نظرة شاردة إلى إصبعها الذي خلا من أي خاتم فاردفت تقول له:

– لا. لست متزوجة.

سألها بهدوء:

– لكنك تعيشين مع رجل. أليس هذا ما تحاولين قوله؟

– هانت قد فهمت وحدك.

وتحولت عنه كي تعمل مفتاحها في باب الشقة. لقد أدركت ما تبادر إلى ذهنه. كانت تعلم أنها أعطته صورة غير صحيحة عن العلاقة التي تجمع بينها وبين "چيمي". ورغم ذلك فقد جعلها ذلك تشعر بالارتياح. لم ترده أن يعتقد بأنها قد أمضت السنوات القليلة الماضية تحلم بعودته ويحرقها الشوق إليه، فمن المؤكد أنه قد نسيها،

www.elromancia.com

فلديه "جانيس". ولكن لم يكن لديها من يعوضها مثلما كان لديه. وربما لن يصدق إذا علم أنه لم يكن في حياتها غيره. إن تركه يعتقد بأن هناك شخصا ما في حياتها يحفظ لها كبرياءها بطريقة ما.

وفي الوقت الذي فتحت فيه باب الشقة كان "هاريس" قد رحل.

الفصل الرابع

كان الضوء الوحيد بالغرفة قادما من جهاز التلفاز الملون الكبير وأخذ يومض في أحد أركان الغرفة. وكان صوت التلفاز عاليا جدا مما أحدث طرقا غير مستحب على طبلتي أذني "شارلوت" مما جعلها تجفل. وكان من المتوقع أن يشكو الجيران ثانية على الرغم من أنه كان من المرجح أن يتجاهلهم "چيمي" كعادته. وراحت "شارلوت" تبتسم من زاوية وجهها للرجل الذي كان يغط في نومه في هدوء وسلام في كرسي اضطجاع له مساند واتجهت إلى الجهاز وأطفأته.

لقد اعتاد "چيمي" النوم في هذا الكرسي ومن جانبها توقعت "شارلوت" أن تعود إلى المنزل في أحد الليالي لتجده قد أحرق المكان بإغفائه تاركا سيجارة مشتعلة. لقد كان الأمر بالغ الخطورة حقا.

مشت "شارلوت" إلى المنضدة التي أمامه ورفعت منفضة السجائر كي تقوم بتنظيفها، وإلقاء ما بها من أعقاب سجائر. وعندما التفتت لتغادر الغرفة تنبه الرجل العجوز ثم نهض معتدلا في مكانه فجأة ثم سألها بعينين زرقاوين مازال يداعبهما النوم قائلا لها:

– أين كنت؟

ودون أن يفاجئها سؤاله أجابته في صبر قائلة:

– كنت في العمل وقد عدت لتوي..

كانت ذاكرة "چيمي" قد ضعفت للغاية حتى إنه لم يعد يتذكر أحداث الحياة اليومية بصورة جيدة. وكان هذا مثيرا للضحك حقا. لكن كان يستطيع تذكر حادثة ما وقعت منذ خمسين عاما بوضوح تام ومذهل.

استطاعت "شارلوت" أن تلحظ الاضطراب والارتباك في عينيه وكذلك الغضب المشوب بالعجز لإدراكه أنه كان من الواجب عليه معرفة أين كانت.

أسرعت تعرض عليه رغبة منها في تحاشي أي انفجار قد يحدث قائلة له:

– سوف أصنع بعض القهوة لكلينا.

فعندما لم يكن يستطيع التذكر كان يجد نفسه مضطرا لإلقاء اللوم على شخص ما ولم يكن أمامه سواها كي يلومه.

ودون أن تنتظر إجابته هربت "شارلوت" إلى المطبخ. وما إن انغلق الباب خلفها حتى سمعت زئير التلفاز المدوي ثانية. وفي محاولة منها لصرف تفكيرها عن رد فعل الجيران قصدت دولاب المطبخ حيث أخرجت حاجيات القهوة.

كان "چيمي" قد تجاوز الثمانين من عمره، وكان يستحق أن يسعد بحياته في سنواته الأخيرة، وقد أحست "شارلوت" بأنها مدينة له بسعادتها. فذات مرة عندما كانت غير سعيدة وبائسة بصورة مريرة كان هو المنقذ لحياتها حقا.

وكانت "شارلوت" قد وقعت فريسة الحزن والكآبة منذ فقدها لطفلها وفسخ خطوبتها وبلغ منها الإعياء كل مبلغ بعد تركها منزل

أبيها. وكان الفندق الحقير الذي تقيم فيه على وشك أن يلفظها ملقيا بها إلى الشارع لعدم قيامها بدفع الإيجار ولم يكن يدخل معدتها طعام طيب لأيام، ولكنها لم تكن تعير كل هذه الظروف الصعبة اهتماما. وأمضت أيامها في متنزه حيث كانت تنفق وقتها وما اجتمع لديها من قروش معدودة وثمينة أيضا في شراء كسر الخبز لإطعام الحمام السمين.

لقد رأت "جيمي" العجوز هناك بالمتنزه لأيام قليلة حيث أقبل عليها يوما ليشاركها مقعدها. وبعد بضع دقائق من الصمت سألها بطريقته المعهودة التي اكتشفتها فيما بعد قائلا لها:

– ماذا تفعل شابة جميلة صحيحة الجسم مثلك بالجلوس ها هنا في المتنزه كل يوم؟

– لماذا لا تكونين بالجامعة أو العمل أم أنك من أولئك الذين تم استبعادهم من الدراسة؟

لكن "شارلوت" تجاهلته ولم تجبه مما جعله يقول لها:

– لقد سألتك سؤالا أيتها الشابة أم أنه ليس لديك من آداب الحديث ما يجعلك تجيبين سؤالي.

أجابته "شارلوت" قائلة:

– إذا كان لابد لك من أن تعرف. فأنا قد تخرجت من المدرسة الثانوية ولم أتمكن من العثور على وظيفة.

وسدد إليها نظرة قاسية وهو يقول:

– وتعتقدين بأن أحد هذه الطيور السمينة العجوز سوف تمنحك وظيفة؟ إن إطعام الحمام هو عمل المسنين مثلي وليس للمخلوقات الصغيرة الشابة القوية مثلك.

وفجأة ألقت بالكيس الذي امتلأ حتى نصفه بكسر الخبز نحوه قائلة له:

– حسنا. إذن فبإمكانك إطعام الحمام ولتدعني وشأني.

وبعدها نهضت على قدميها ثم رحلت عنه بخطى بطيئة متثاقلة.

ولم تأت إلى المتنزه بعد ذلك لمدة أسبوع كامل أمضته في البحث عن عمل ومكان آخر كي تعيش فيه. لكن الحظ لم يحالفها في أي من الأمرين فعادت إلى المتنزه ثانية وقد استبدت بها الكآبة غير آبهة بما خبأت لها الأيام وخطته لها يد القدر.

ورأت العجوز ثانية هناك. ولم يكن التحالف بينهما سهلا ميسورا بادئ الأمر لكن احتياج كل منهما للآخر هو ما جمع بينهما. فقد كانت "شارلوت" بحاجة إلى شخص ما يهتم بها؛ لأنها لم تكن تهتم بنفسها. أما "جيمي" العجوز فكان وحيدا في هذا العالم وكان بحاجة إلى شخص ما يهتم به...

عندما عادت "شارلوت" بالقهوة إلى غرفة المعيشة وجدت "جيمي" قد غلبه النعاس ومال رأسه إلى الخلف فاغرا فاه وراح شخيره يسابق طنين التلفاز. ومرة أخرى أطفأت التلفاز وأخذت مقعدها على الأريكة البالية وأخذت تنفخ في قهوتها للحظة قبل أن تشرع في احتسائها.

وكان "جيمي" يعلم كل شيء عن "هاريس" فقد أطلعته "شارلوت" على القصة المؤلمة كاملة بعد مرور بضعة أشهر على أول لقاء جمع بينهما. وقد رحبت "شارلوت" بمساندته لها آنذاك- فقد كان منحازا إليها تماما مستنكرا ما فعله معها "هاريس" معتبرا فعلته "استغلالا" لها. ولدى سماعه قصتها سرعان ما وصف "هاريس" بأنه

www.elromancia.com

نذل وأسود القلب.

ورغم علمها بانحيازه إلى صفها لم تكن واثقة برغبتها في مناقشة عودة "هاريس" للظهور في حياتها مع "جيمي" بعد. لقد كانت مشاعر "شارلوت" تجاه "هاريس" مختلطة. وكانت بحاجة إلى التحقق منها وتصنيفها في عقلها دون تدخل خارجي من أحد قبل مناقشة أمر خطيبها السابق مع أي شخص.

انتهت "شارلوت" من تناول قهوتها فنحت الفنجان جانبا. وكانت يدها المصابة تؤلمها بشكل كاد أن يذهب بعقلها آنذاك. ونهضت واقفة ثم قامت بتغطية "جيمي" بشال كان يلف ظهرها.

وما إن عثرت على حقيبة يدها حتى قامت بإخراج الأقراص المسكنة للألم منها وابتلعت واحدا منها قبل أن تطفئ الأنوار وتأوي إلى فراشها.

ما إن دلفت "شارلوت" إلى داخل ردهة الفندق في مساء اليوم التالي حتى أتاها صوت "لندا" وهي تندفع نحوها قائلة لها:

– "شارلي"! كيف سار موعدك مع السيد "جوردان" ليلة أمس؟

سألتها "شارلوت" بلهجة حادة وهي تدور حولها متجهة إلى البار قائلة لها:

– منذ متى كانت التوصيلة إلى وحدة الطوارئ موعدا غراميا؟

وبلهجة تنم عن الإصرار وقد راحت تسير في أثر "شارلوت" بعد أن أعياها فضولها قالت لها "لندا":

– لكنه اصطحبك في سيارته إلى هناك. هل انتظرك وأعادك إلى المنزل بعد ذلك؟

وأجابتها "شارلوت" بحدة قائلة:

– أجل.

ولم تكن "شارلوت" قد نامت جيدا الليلة الماضية. رغم أن الأقراص المسكنة للألم كان لها مفعول السحر في تخفيف ألم يدها إلا أنها لم تجد نفعا في تخفيف حدة أفكارها. ولذا فقد أفرطت في النوم ولم يتح لها الوقت للبحث عن وظيفة أخرى كما كانت تعتزم.

سألتها "لندا" في الوقت الذي ظهر فيه "توني":

– هل طلب منك الخروج معه ثانية؟

لكن "شارلوت" تجاهلتها آخذة النقود من "توني" وبدأت في عدها. ودون أن تأبه لذلك عادت "لندا" تسألها:

– أود لو أنني أفلح في لفت نظره إلي. إنه أروع رجل رأيته في حياتي. ثم أردفت تقول لها:

– لقد كنت محظوظة حقا أن أصيبت يدك أثناء وجوده هناك.

وعاجلتها "شارلوت" بردها قائلة لها:

– استمعي إلي جيدا يا "لندا". إنني لم أشعر بأنني محظوظة آنذاك ومازلت لا أشعر بذلك. ولو أنني كنت مكانك لما أصبحت متيمة به مثلك– فهو مرتبط بأخرى.

وبدا الانهيار على ملامح "لندا" وهي تقول لـ"شارلوت":

– أحقا ما تقولين؟

ثم رمت "شارلوت" بنظرة قاسية قبل أن تردف قائلة لها:

– أوه لا يمكن أن يكون مرتبطا بأخرى كما تقولين. ولو أنه كان كذلك لعلمت.

وبلهجة جافة قالت لها "شارلوت" رافعة صينيتها ومبتعدة عنها:

– وهانت تسمعين بذلك الآن.

www.elromancia.com

وعندما عادت "شارلوت" إلى البار أراحها ذهاب "لندا" إلى زبائنها. وعلى الرغم من ذلك لم تفلت "شارلوت" ولم تسلم من سيل الأسئلة المحرجة. فبينما كان "توني" عامل البار يعد لها طلباتها ويقوم بخلط مشروباتها سألها قائلا:

– حسنا. ما الجديد بشان السيد "جوردان"؟

– لا جديد يا "توني"، فكما أخبرت "لندا" فهو مرتبط بخطوبة بتلك الفتاة التي كانت بصحبته ليلة أمس.

وبإلحاح سألها قائلا:

– ولكن ماذا عن علاقتك به؟

أجابته "شارلوت" مدافعة عن نفسها:

– ماذا عن علاقتي به؟ لقد قام بتوصيلي إلى المستشفى بسيارته وتناول قهوته في الكافيتريا ثم أعادني إلى المنزل بسيارته، إنك سيئ الظن مثل "لندا" – إلى أين ذهبت بك ظنونك؟

تابع "توني" حديثه إليها دون أن يتوقف عن عمله قائلا لها:

– اعتقدت فقط أن هناك ما هو أكثر من ذلك في علاقتكما. فقد عاد إلى البار بعد ذلك وسأل عنك أنت و"جيمي". وبدا أن لديه انطباعا بانكما تقيمان معا وتربط بينكما علاقة ما. واعتقدت أنك قد لجأت إلى تلك الحيلة للتخلص من رجل ما.

أجابته قائلة:

– حسنا. ربما أردت التخلص منه!

وفي الوقت الذي وضع فيه آخر مشروب أعده في صينيتها قال لها:

– لكنك ذكرت أنه مرتبط بأخرى. فما حاجتك للتخلص منه! إن هناك شيئا ما يدعو إلى الريبة يدور هنا وأود أن تطلعيني على حقيقة

الأمر. هل كنت تعرفينه من قبل؟

وكم تمنت "شارلوت" لو تلتقط صينيتها وتمشي بعيدا. ولكن لسوء الحظ لم يكن "توني" بالنسبة لها من نفس فئة "لندا". لقد كان أكثر من مجرد زميلها في العمل، كان صديقا عزيزا للغاية بالنسبة لها ولذا أجابته بقولها:

– أجل يا "توني".. أعرفه ولكن.. لا أستطيع أن أشرح لك في الواقع.

رمقها عامل البار بنظرة متأملة في الوقت الذي كانت عيناها تعبران فيه عن اعتذارها فأردفت تقول له.

– أرجو فقط ألا تكون قد أطلعته على حقيقة أمر "جيمي". ترى ماذا فعلت؟

وهز رأسه قائلا لها:

– تعلمين أنني لم أكن لأفعل ذلك دون مشاورتك أولا بهذا الشان.

– أشكرك و.. لتدعه يظن ما يظن.

– هل أنت متأكدة؟ لقد بدا أنه..؟

وتردد بحثا عن كلمة مناسبة ثم أردف قائلا لها:

– بدا أنه مشغول جدا بشان ما حدث ليلة أمس. وكانت لديه أسئلة كثيرة بشان "جيمي"... كما لو كان يتحقق من كونه كفئا بما فيه الكفاية لك.

ويبدو أن "شارلوت" لم تقتنع بما قاله "توني" فقالت له معقبة:

– لم يكن مشغولا.. بل فضوليا فحسب. ولماذا يشغل نفسه بامر كهذا على أية حال؟

www.elromancia.com

– إنه مرتبط بتلك الفتاة.

هز "توني" كتفيه قائلا لها:

– حسنا. إن كان الأمر كما تقولين.

قالت له "شارلوت" وهي ترفع صينية المشروبات قبل ذهابها لخدمة زبائنها:

– أجل وأؤكد لك.

كانت الساعة حوالي العاشرة عندما دلف "هاريس" ومعه "جانيس" متابطة ذراعه. وكانت "لندا" قد غادرت المكان بالفعل من أجل المناوبة الليلية ولذا لم تجد "شارلوت" مفرا من خدمة "هاريس" و"جانيس" بنفسها. وقد اتخذا لهما مائدة قريبة من البار فقصدتهما على مضض.

وحيتهما "شارلوت" دون أن تتمكن من إخفاء اليأس من نبرة صوتها قائلة لهما:

– طاب مساؤكما.

لقد اعتقدت بأنها و"هاريس" قد اتفقا على أن يتجنب كل منهما الآخر. وسألتهما قائلة:

– ماذا يمكنني أن أقدم لكما الليلة؟

كانت عينا "هاريس" جامدتين وهو يسألها بلهجة قاسية قائلا لها:

– كيف حال يدك اليوم؟ اعتقدت انك سوف تأخذين إجازة لبضعة أيام لإتاحة الفرصة أمام يدك كي تبرأ.

أجابته "شارلوت" قائلة:

– إنها بخير.

والواقع أن يدها كانت تؤلمها قليلا لكنها كانت تحتاج لأن تعمل.

والتقطت صينيتها وعليها ما طلبا والتفتت عائدة إلى مائدتهما.

كانت "شارلوت" تضع القهوة أمام "جانيس" عندما رن جرس التليفون وراح "توني" يلوح لها من البار قائلا لها بصوت عال:

– "شارلي" إنه لك.

– ثانية واحدة فقط.

وأسرعت بوضع الشراب أمام "هاريس".

وعاد صوت "توني" في هذه الأثناء يناديها قائلا:

– "شارلي" أعتقد بأنه يجدر بك المجيء إلى هنا للرد على التليفون.

نظرت "شارلوت" من فوق كتفها إلى عامل البار الذي مد يده بسماعة التليفون نحوها وكان يبدو متعجلا قليلا. وفي تشكك نظرت "شارلوت" باتجاه "هاريس" ثانية. وبلهجة تهكمية قال لها "هاريس":

– خذي مكالمتك وسوف ننتظر.

أسرعت "شارلوت" تشكره وهي تسير عائدة إلى البار مدركة ثبات عيني "جانيس" و"هاريس" عليها. وهمست إلى "توني" قائلة له وهي تأخذ السماعة من يده:

– لماذا كل هذا الفزع؟

شرح لها "توني" معتذرا:

– إنه "چيمي". لقد حاولت التحدث إليه لكنه... منزعج نوعا ما.

وهنا بدا الارتباك على ملامح "شارلوت" ثم تحدثت في السماعة قائلة:

– مرحبا . .

وكان نصيبها سيل من الشتائم واللعنات من محدثها مما دفعها إلى إبعاد السماعة عن أذنها. لقد حدث شيء ما أطار عقل الرجل العجوز، لكنها لم تتمكن من اكتشافه إلا بعد أن هدأ الرجل وخمدت ثورته.

وعندما أدركت مجيء "هاريس" إلى البار ووقوفه بجانبها تماما كانت نظرة واحدة إلى تعبيرات وجهه المتحجرة كافية لإخبارها بأنه يمكن له سماع اللغة البذيئة القادمة من التليفون. وبوجه ممتقع ألصقت سماعة التليفون من أذنها بصورة أكبر والتفتت نصف التفاتة بعيدا عن "هاريس".

وبصوت حاد النبرة ومنخفض قالت لـ"چيمي" عبر الهاتف:

– اهدأ يا "چيمي"!

ومرت دقيقة أخرى قبل أن تهدأ ثورة العجوز بما يكفي للسماح لها باكتشاف المشكلة. وشرحت له قائلة:

– توجد علبة سجائر تكاد أن تكون ممتلئة باكملها في الخزانة المجاورة لحوض الغسيل حيث اعتدت وضعها.

لقد نفدت سجائر الرجل ولم يعثر على المزيد منها ولذا جن جنونه. وأمام استجابة الرجل لها أقرت له بقولها:

– أجل أعلم أنني اعتدت وضعها هناك لكنني غيرت ترتيب كل شيء في الشقة. ألا تذكر؟ والواقع أنه لم يتذكر وكانت هذه هي الشرارة التي ولدت الحريق. وأخيرا هدأ تماما وطاب خاطرا. وقامت "شارلوت" بتعليق سماعة التليفون بعد أن أنهت المكالمة معه وقد راحت تعض على شفتها السفلى في أثناء ذلك. لقد مضى قرابة عام

منذ أن أعادت ترتيب خزائن المطبخ في نوبة تنظيف منزلي انتابتها.

يالك من رجل مسكين يا "چيمي" – وراحت تتضرع إلى الله ألا يكون قد أحرق العمارة باكملها وليس الشقة فحسب في تلك الأثناء بعد أن يجد ضالته.

ورفعت بصرها إلى "هاريس" فالفته يتفحصها ثم يذكرها ساخرا قائلا لها:

– أذكر أنك وبختني ذات مرة على طريقة تحدثي إلى "چانيس" غير اللائقة.

احمر وجه "شارلوت" خجلا وهي تغمغم قائلة له:

– إن الوضع مختلف.

قال لها بلهجة غلب عليها النفور والاشمئزاز وهو يلتقط وعاء القشدة والسكرية اللذين جاء إلى البار لإحضارهما. وأصابها الغم والحزن حيث كان من الواجب عليها إحضار تلك الأشياء مع القهوة وراقبته وهو يسير عائدا إلى مائدته قبل أن تتبعه على مضض.

رماها بنظرة خلت من الترحيب عندما وصلت إلى مجلسه ثم قال لها:

– إننا لم ننته إلى قرار بشأن ما كنت ستقومين به بشأن الفاتورة.

ثم أردف قائلا لها ببرود:

– عادة ما أقوم بإجراء مراجعة شهرية في فنادقي.

أومأت "شارلوت" برأسها والتفتت استعدادا للفرار عائدة إلى البار، لكنها لم تكد تفعل ذلك حتى سمعته يقول لها بطريقة أوحت لها بانه كان يذكرها بانه هو الرئيس الآن:

– وفي فنادقي أيضا لا أحبذ قيام العاملين باخذ مكالمات هاتفية

www.elromancia.com

شخصية أثناء ساعات العمل. وقد تكون لديك الرغبة في إبلاغ صديقك بهذا حتى لا يكرر ما فعل اليوم مستقبلا.

لم تتح لـ"شارلوت" فرصة البحث عن عمل آخر حتى صباح الاثنين وكانت قد أخذت اليوم السابق راحة من العمل حيث استيقظ "جيمي" بحالة مزاجية جيدة كسابق عهده مما جعلها تتخلى عن خططها للبحث عن عمل وأغراها باصطحاب العجوز في نزهة جبلية في السيارة "الفولكس فاجن" العتيقة.

ولما كان "جيمي" يمتلك ثروة عظيمة من القصص والحكايات فقد كان مصدر تسلية عظيمة لها طوال اليوم. كان يوما جميلا وعزيزا حقا وترك ذكرى عزيزة على قلبها. ومع تقدم شيخوخته وأعوامه الخمسة والثمانين أدركت "شارلوت" أنه كان يتعين عليها أن تشعر بالمذاق الكامل للأيام السعيدة عند قدومها، فمن يدري؟ فلعلها تعيش على ذكراها فيما بعد.

كان يوم الاثنين هو يوم البحث الجاد والشاق عن عمل. ورغم كل ما بذلته "شارلوت" من جهود ومحاولات فقد أصابها الإحباط ونال منها التعب والإرهاق في وقت متأخر من بعد ظهيرة ذلك اليوم دون أن تجد عملا مناسبا لها.

وفي نهاية الأمر رأت "شارلوت" أنه على الرغم من أن "بلاك ستاليون" ليس أعظم مكان في العالم يصلح للعمل فيه إلا أن رائحة الجعة ودخان السجائر الفاسدة والبول لم يكن يفوح منها على الأقل مثل "بولدر" البلدة الجامعية ناهيك عن زي العمل البالي الذي قدمه لها عامل البار هناك مما دفعها للاعتقاد بأن عامل البار نفسه لم يقدم أبدا على غسل ملابسه العتيقة خشية ذوبانها في الماء! وهكذا لم

تجد "شارلوت" أمامها سوى مواصلة العمل بفندق "هاريس".

كانت "دياني" سكرتيرة الفندق تضع الغطاء فوق الآلة الكاتبة عندما دلفت "شارلوت" إلى مكتبها. وسألتها "شارلوت" وهي تراجع لوحة جدول العمل المعلقة قائلة:

- هل أنت تستعدين للرحيل لتوك؟

وقالت لها "دياني" مؤكدة وهي ترمقها بنظرة غلب عليها الارتباك نوعا ما:

- سوف أرحل في غضون دقيقتين.

كانت "شارلوت" نفسها تبدو مرتبكة جدا وهي تعيد النظر إلى الفتاة قبل أن تسألها قائلة:

- لقد تم شطب اسمي من جدول العمل. ماذا حدث؟

- كنت أتساءل لتوي عما تفعلينه هنا الآن. لقد حضر السيد "جوردان" إلى هنا صباح اليوم وطلب مني إعادة إعداد الجدول، لأنك قد تركت العمل هنا وأخبرني بأنك قد عثرت على عمل بمكان آخر.

وسألتها "شارلوت" بلهجة غاضبة:

- هل قال ذلك؟

لقد أخبرها من قبل أنه بإمكانها الاحتفاظ بوظيفتها بالفندق، فكيف يجرؤ على فصلها من عملها الآن.

وأردفت "دياني" قائلة لها:

- حسنا.. نعم.. لقد أخبرني بأنك قد وجدت عملا آخر سوف تبدئين فيه على الفور ولذا لم يضطرك إلى إشعاره مسبقا بترك العمل هنا.

وبلهجة ساخرة قالت لها "شارلوت" وهي تلتفت للنظر إلى جدول

www.elromancia.com

العمل:

– كان ذلك عطفا كبيرا منه.

– فياله من وغد حقير!

وسألتها السكرتيرة متلطفة قائلة:

– هل لديك شيء آخر تريدين معرفته؟

– لا.

وهدأتها "دياني" بوجه لم يبد عليه الارتياح قائلة لها:

– ربما كان هناك سوء فهم.

وإدراكا منها لكون "دياني" لا ذنب لها فيما حدث من "هاريس" بحقها فتصب على رأسها جام غضبها قالت لها وهي تومئ لها:

– نعم ربما كان هناك سوء فهم.

ثم أردفت تقول لها مراوغة وقد بدا على وجهها الحزن والكآبة:

– أين أجد السيد "جوردان"؟

– لقد غادر مكتبه بالفعل. ونظرا لأنه ليس لديه اجتماع فمن المرجح أن يكون في جناحه الآن إذا كان مايزال موجودا في الفندق.

ورفعت بصرها إلى "شارلوت" قبل أن تضيف قائلة لها:

– هل تريدينني أن أتحقق لك من وجوده هناك هاتفيا؟ وسوف أسأل عما إذا كان لديه الوقت لمقابلتك؟

وهنا ترددت "شارلوت" ثم هزت رأسها قائلة للسكرتيرة:

– سوف أراه صباح الغد.

والواقع أنها كانت تكذب. فبعد ما فعله معها ربما أصبح في نظرها فارا كبيرا بحيث لا تقوى على مواجهته. لكنها اعتزمت تسوية هذا الأمر الليلة دون أن يتلقى تحذيرا من أحد.

وبابتسامة متكلفة للسكرتيرة غادرت المكتب. وفي الصالة بالخارج التفتت نحو المصاعد واتجهت إليها بخطى واسعة في تصميم وثبات.

الفصل الخامس

كانت حالة "شارلوت" المزاجية بالغة السوء وآخذة في التصاعد مع ارتفاع المصعد الكهربائي، ولم تذكر أنه سبق لها أن غضبت إلى هذه الدرجة، لا بل إنه قد جن جنونها غضبا. لم يكن لـ"هاريس" الحق في أن يفصلها من عملها. فقد كانت تعمل بجد وإخلاص ومهارة ورغبة في العمل. فمجرد عدم استحسان خطيبته التي يصعب إرضاؤها لهفواته الماضية لا يعطيه الحق للتخلص منها على هذا النحو المزري!

ما إن اقتحمت "شارلوت" الباب وأغلقته خلفها محدثة صوت ارتطام مدوٍ حتى وجدت نفسها تسير داخل غرفة خاوية وأخذ صدرها يضطرب لاهثة الأنفاس كما لو كانت قد صعدت السلم المؤدي إلى هذا العش فوق مبنى الفندق على قدميها. لم يكن بالغرفة ثمة أحد مما جعلها تشعر كما لو أنها كانت ممثلة دخلت إلى المسرح في أبهى زينتها وحلتها فلم تجد هناك أحدا. والقت "شارلوت" نظرة غاضبة على المزهرية الصينية التي لم تتح لها فرصة إلقائها فوق رأس صاحبها.

وفجأة جاءها صوت عال جدا جعلها تدور حول نفسها.

– ماذا تفعلين هنا بحق السماء؟

كانت هذه هي الكلمات التي أطلقها "هاريس" نحوها وهو يدلف

www.elromancia.com

إلى داخل الغرفة قادما من الصالة الجانبية. وكان شعره مبتلا وأخذت نقط الماء تتساقط منه لترتطم بصدره العاري.

وبفم جاف راحت "شارلوت" تحملق إليه وقد خفت حدة غضبها لكونها لم تجده مباشرة عندما حضرت إلى غرفته. ولم تستطع أن ترفع نظرها عنه وقد استبدت بها أفكار ورغبات لم يكن لها الحق فيها مما جعلها مسلوبة الوعي. كان صدره مكتسيا بسمرة عميقة وقد بدا تكوينه العضلي الثقيل أسفل أرضية من الشعر الملتوي على هيئة حلقات. وكان بطنه صلبا ومستويا فوق المنشفة المتدلية على ارتفاع منخفض فوق فخذيه. ومع شعورها بدوار طفيف سحبت "شارلوت" عينيها بعيدا حتى تتوقف عن تأمل منشفته لكن عينيها قابلت عينيه.

وصاح بها "هاريس" متهكما قائلا لها:

– إذا كنت قد رأيت ما يكفي هنا ربما لن يكون لديك مانع في أن تخبريني بسبب مجيئك إلى هنا.

وأذهلته بردها عندما قالت له متضررة وبلهجة مضطربة:

– جئت إلى هنا لأقول لك إنك سافل وحقير ومخادع. قلت لي إنه بإمكاني أن أحتفظ بوظيفتي هنا فلم أكد أعطيك ظهري حتى قمت بفصلي من العمل. وأعتقد أن جزاءك العادل على فعلتك أن أخبر خطيبتك العزيزة أي نوع من المخادعين الحقيرين تكون!

واعتمل غضبه في صدره وهو يسألها بصوت منخفض وينذر بالشر قائلا:

– هل تحاولين ابتزازي؟

ولم تخف "شارلوت" فزعها منه وهي تعترف له قائلة:

– ليس ابتزازا ولم أقصد ذلك.

وأسرع يستجوبها بلهجته الصارمة قائلا:

– إذن ماذا قصدت؟

أجابته "شارلوت" وقد حملت عينيها قسرا على النظر إلى وجهه:

– قصدت...

لكن الكلمات جفت في حلقها وقد حبست أنفاسها دون وعي وتعلقت عيناها دون هوادة بالغطاء غير الآمن الذي كان يلف به النصف السفلي من جسمه.

سألها "هاريس" وهو يهز كتفيه في حنق وسخط ومعرضا غطاءه للمزيد من الخطر قائلا لها:

– هلا أتممت حديثك بحق السماء؟

غمغمت قائلة له:

– آسفة.

ثم أردفت تقول له بعد أن هزت رأسها:

– أنا...

وطلبت منه وقد علت وجهها حمرة الخجل قائلة له:

– هلا تفضلت بارتداء ملابسك؟

وبعد أن أطبقت أصابعه على الطرف العلوي للمنشفة التي كانت تغطي نصف جسمه السفلي لرفعها لأعلى، نظر إليها وإلى وجنتيها القرمزيتين وتعبيرات وجهها الذي بدا عليه الارتباك ثم نصحها بلهجة قاسية قائلا لها:

– كان بإمكانك الاتصال بي هاتفيا، وأخذ موعد لمقابلتي. لكنك فاجأتني بحضورك إلى هنا.

تلعثمت وهي تقول له:

– أنا.. أنا أعلم أنني فحسب... لم أظن.

ونظرت إليه متوسلة وهي تردف قائلة له:

– يمكنك أن ترتدي ملابسك الآن. وسوف أنتظرك.

وبلهجة تهكمية قال لها:

– أشكرك. ولأنك كنت متلهفة لمقابلتي لهذه الدرجة فلن أجعلك تنتظرين طويلا.

بعدها قام بتأمين وضع المنشفة حول نصف جسمه السفلي وعندما رفع بصره لأعلى كانت هناك ابتسامة عريضة حاقدة تكسو وجهه وهو يردف قائلا لها:

– لا تقلقي، فلست أشعر بالبرد. لقد قمت بتشغيل جهاز التكييف لتوي عندما دخلت الغرفة منذ لحظات قليلة. لكن جهاز التكييف لم يبرد المكان بعد.

رمقها بنظرة ساخرة وهو يردف قائلا لها متظاهرا بالاهتمام بها:

– الواقع أنك تبدين دافئة قليلا وربما وجب عليك خلع سترتك.

ولم تجد "شارلوت" ما تقوله فوقفت عاجزة ذليلة حبيسة رغبة لم تكن تبتغيها. كان جسدها وقلبها يصران على أن هذا الرجل ملك لها بينما هي تقول لنفسها: لا بل هو ملك "جانيس". لكنها كانت أمينة وعلى خلق، ولذا لم يكن لها أن تتعدى على ممتلكات امرأة أخرى.

وعذبها "هاريس" بقوله وهو يرفع يديه إلى كتفيها ويضعهما أسفل طيتي الصدر لسترتها:

– سوف أساعدك على خلعها.

وببطء أزاح الجاكت بعيدا عن كتفيها بلمسة تدليل وملاطفة وقد ثبت عينيه على وجهها. لقد كان عذابا قاسيا اهتزت له أعصابها وتوترت. وغاصت أصابع "هاريس" في كتفيها والتقت عيناها بعينيه فذهب عنها المرح والغضب واحترقا بنار الشوق الذي تأجج في أعماق كل منهما.

وهمست "شارلوت" له قائلة وقد فقدت سيطرتها على نفسها ورفعت يدها كي تلمس صدره:

– "هاريس"..

كان جلده دافئا ومايزال رطبا قليلا من أثر الاستحمام واستطاعت أن تشعر بخفقات قلبه الثقيلة تحت جلده.

– "شارلوت"، أنا...

وفجاة رفع الجاكت فوق كتفيها بحركة خشنة عاصفا بلحظة الوصل والتقارب بينهما في أوجها. وبتعبير عن المرارة والاستنكار بدوا على وجهه قال لها "هاريس":

– لقد كنت على حق. سوف أذهب لارتداء ملابسي ثم نمشي سويا.

وبعدها استدار على عقبيه وغادر الغرفة. وعندما عاد "هاريس" بعد عدة دقائق كان مرتديا ملابسه الرسمية كاملة. وكان يبدو باردا وبعيدا عنها. وسألها بلهجة مهذبة وهو يتحرك صوب خزانة وضعت قبالة الجدار البعيد قائلا لها:

– هل لديك الرغبة في تناول شراب؟

وترددت "شارلوت" وأخذت تجلو حلقها وهي تقول له:

– أنا... نعم من فضلك. سوف آخذ عصير البرتقال.

www.elromancia.com

– حسنا. لك ما تريدين.

ثم عاد يسألها قائلا لها:

– والآن ما الذي يبدو على أنه مشكلة بالنسبة لك؟

وأجابته قائلة:

– المشكلة تتلخص في أنك قد فصلتني من عملي.

ومع شعورها بحرارة الغضب تعود إليها مجددا أردفت قائلة له:

– لقد أخبرتني ليلة الجمعة أنه بإمكاني الاحتفاظ بوظيفتي، ولكن عندما حضرت إلى الفندق بعد ظهر اليوم أخبرتني "دياني" بأنك قد حذفت اسمي من جدول العمل.

ذكرها قائلا لها وهو يخفض الكوب الذي يحوي شرابه:

– أذكر أنك أخبرتني بأنك سوف تبحثين عن عمل آخر.

– أعلم هذا، وهو ما كنت أفعله طوال اليوم لكنني لم أعثر على أية وظيفة. إنني بحاجة إلى العمل وأحتاج إلى عملي هنا بـ"بلاك ستاليون" لأنه العمل الوحيد المتاح أمامي.

راح يبتسم وهو يقابل نظرة الغضب في عينيها برباطة جأش ورصانة قائلا لها:

– لا. الأمر ليس كذلك. فقد وجدت لك عملا آخر.

نظرت إليه "شارلوت" متشككة قبل أن تسأله:

– أي عمل؟

– العمل في فندق– ولكن ليس كنادلة– فأحد أصدقائي لديه فرصة عمل لموظفة استقبال.

ورغم شعورها بعدم الارتياح سألته قائلة:

– وهل يمكنني بدء العمل على الفور؟

وأجابها قائلا لها:

– بمجرد أن تكوني مستعدة لذلك.

هز كتفيه وهو يردف قائلا لها:

– إنها لفرصة عظيمة لك. فليس هناك مستقبل لعملك كنادلة كوكتيل– إنها وظيفة بلا مستقبل. لكن عملك مع "ستيف"... من يدري؟ يمكنك أن تشقي طريقك إلى الإدارة في نهاية الأمر. فأنت فتاة ذكية.

وبلهجة جافة قالت له:

– أشكرك. ولكني لا أحتاج إلى وظيفة دائمة الآن فلدي وظيفة أخرى للخريف تدريس الصف الأول بمدرسة ابتدائية. وربما تصورت أنها وظيفة بلا مستقبل أيضا ،ولكني أتطلع إليها.

تظاهر بالتأثر وهو يقول لها:

– حصلت على درجة جامعية؟

– هذا صحيح... حصلت عليها هذا الربيع.

رمقها بنظرة قبول واستحسان فلم تقو على مقاومة رغبتها في أن تردف قائلة له:

– كنت الثامنة في الترتيب.

– شيء رائع حقا. وهل ساعدك والدك في تحمل نفقات تعليمك حتى تخرجت في الجامعة؟

قالت له "شارلوت" في إيجاز:

– إنني لم أر والدي منذ أكثر من خمس سنوات. وقد تحملت نفقات تعليمي كاملة ومازلت بحاجة إلى وظيفة– تلك الوظيفة التي قمت بفصلي منها.

www.elromancia.com

نظر إليها "هاريس" في صمت للحظة ثم قال لها:

– أعتقد أنني إذا تحدثت لـ"ستيف" وشرحت له الظروف فسوف يسند إليك عمل موظفة استقبال صيفا فقط.

سألته في حذر قائلة:

– وكم هو الراتب لتلك الوظيفة؟

وذكر لها رقما كان يربو على ما كانت تحصل عليه نظير عملها كنادلة. ورفعت حاجبيها بعد أن استولى ذلك العرض على اهتمامها فاردف قائلا لها:

– من المؤكد أنك مازلت مضطرة إلى العمل معظم عطلات نهاية الأسبوع، لكنك اعتدت ذلك وعلى أية حال فهذا العمل نهاري.

ودون أن تخفي اهتمامها قالت له:

– لن تكون هناك مشكلة في ذلك.

تابع "هاريس" حديثه قائلا لها:

– أعتقد بأنك سوف تجدين "وسترلي" مكانا جميلا للعمل فيه. إنه ليس كبيرا مثل "فوت هيلز"، وفضلا عن كونه أقدم فهو أنيق ولكنه شعبي نوعا ما إن كنت تفهمين ما أقصده.

أقرت "شارلوت" قائلة له:

– يبدو ذلك رائعا. وقد أخبرتني بأنه من الممكن لي أن أبدأ العمل على الفور.

– بمجرد أن تحزمي أمرك. نسيت أن أخبرك بأنه من المتوقع لك أن تقيمي هناك.

تجهم وجهها وهي تساله بقولها:

– أقيم هناك؟ ولكن لدي شقة. ولا...

قاطعها برفق قائلا لها:

– إن مكان إقامتك الحالي يبعد قليلا عن محل عملك الجديد.

– ماذا تقصد؟

كرر "هاريس" قائلا على نحو له مغزى:

– إن "وسترلي" في "سياتل"... ولكن كما أخبرتك فالإقامة هناك حيث يوجد مسكن عازبات.

حبست أنفاسها بعد أن اتضح دافعه، لقد كانت محقة في الارتياب في عرضه، وقالت له متسائلة:

– مسكن عازبات...؟ وهذا يعني أن "جيمي" لن يكون مرغوبا فيه هناك.

– آسف لذلك حقا.

نهضت "شارلوت" واقفة ثم قالت له:

– إذن أعتقد بانه ينبغي عليك أن تبحث لصديقك "ستيف" عن موظفة غيري.

وقبل أن تتمكن من مغادرة المكان أسرع إليها واستوقفها واضعا يده على ذراعها ثم قال لها ناصحا دون أن يطلق سراحها:

– لا تتسرعي يا "شارلوت"! فكري في الأمر جيدا. قد يكون هذا العرض الفرصة الوحيدة أمامك للخروج من موقف يتعذر الفكاك منه.

سألته وهي تهز ذراعها بعيدا مما جعله يطلق سراحها قائلة:

– وماذا تعرف عن "موقفي"؟

– أعرف الكثير في الحقيقة. فقد تحدثت إلى عامل البار ليلة البارحة..

www.elromancia.com

وقاطعته قائلة له:

– سمعت بذلك. ولكن بأي حق تسأل أصدقائي وتتدخل في شؤوني؟ وبدا الضيق وعدم الارتياح على وجه "هاريس" وهو يقول لها:

– حسنا كنت مشغولا بأمرك مثلما أكون عندما أسمع بأن أحد أصدقائي القدامى في مازق.

رمته بنظرة احتقار وهي تسأله قائلة:

– وتقصد بالمازق "چيمي"؟

وبلهجة من يعترض معاتبا قال لها "هاريس" وهو يرطم راحة يده بقبضته:

– نعم قصدت "چيمي" ذلك الشخص الذي تعيشين معه. أخبرني "توني" بأنه لا يعمل– ومن الواضح أنه يستغلك وسمعت طريقته في التحدث إليك في الهاتف ليلة البارحة! ينبغي أن يجلد! لم تقو على مصارحته بالحقيقة فقالت له مقرة:

– إنني لا أنفق على "چيمي".

وترددت وهي تقول له:

– إن لديه... دخلا.

انتقدها بقسوة قائلا لها:

– لديه دخل... ورغم ذلك هأنت تقفين بين يدي وتتوسلين إلي للاحتفاظ بوظيفتك في تقديم المشروبات في ذلك البار الحقير تحت الأرض. لماذا لا يقوم ذلك المتطفل بالإنفاق عليك إذا كنت تعيشين معه؟

شرحت له "شارلوت" قائلة في تلعثم:

– إن "چيمي"... لا يحصل على ما يكفي من المال كل شهر كما تتصور.

وقابلت عيناها عينيه وهي تردف قائلة له ببرود:

– لم أتصور أبدا أن تكون فضوليا إلى هذه الدرجة يا "هاريس". لم لا تعتني بشؤونك وتدعني أهتم بشؤوني؟ وبالنسبة لوظيفتي التي ليس لها مستقبل بمبارك الحقير فهي الوظيفة الوحيدة التي أبدو قادرة على العثور عليها بهذه البلدة والآن أريد أن أستردها.

– ولن تعطي نفسك مجرد الفرصة لدراسة عرض "ستيف"؟

– لا.. حتى وإن لم تدعني أعمل هنا.

واستجمعت كرامتها حولها كما لو كانت عباءة لفت بها جسدها، وتحركت باتجاه باب الغرفة. ولكنها ما إن وصلت إلى باب الغرفة ووضعت يدها على المقبض حتى سمعته يقول لها:

– اتصلي بـ"دياني" بعد ظهر الغد. وسوف أخبرها بأن تعيد اسمك إلى جدول العمل.

وتملكتها الدهشة فالتفتت تنظر إليه وغمغمت قائلة له بوجه لم يقل قسوة وتحجرا عن وجهه في تلك اللحظة:

– أنا... أشكرك.

ودون استجابة لشكرها قال لها:

– إذا كان السماح للزبائن بالتحرش بك ومضايقتك الليلة تلو الليلة ثم العودة إلى المنزل كي تجدي رجلا ما يعاملك كما لو كنت شيئا من النفاية هو ما تريدين فلا تدعيني أتدخل في أمور حياتك. ما كان لي أن أضيع وقتي في محاولة مساعدتك على الخروج من أزمتك في المقام الأول.

www.elromancia.com

قال لها ذلك ثم التفت بعيدا عنها ورفع كأس الشراب إلى شفتيه وأفرغ ما فيه داخل فمه جرعة واحدة. وعندما تحرك باتجاه خزانة الكوكتيل تسللت "شارلوت" إلى خارج الغرفة.

الفصل السادس

كانت "شارلوت" قد توجهت لتوها إلى مائدة رجلين لأخذ طلبهما عندما لمحت "هاريس" بطرف عينها يدلف إلى الردهة ولم يجلس إلى مائدة بل سار إلى البار للتحدث مع "توني".

وتملكتها في بادئ الأمر الرغبة في أن تتبعه تاركة زبائنها لمجرد أن تكون قريبة منه وأن تسمع صوته ثانية. فعندما غادرت شقته بعد ظهر ذلك اليوم تمنت لو لم تكن قابلته ثانية، لكن الزمن كان كفيلا بإصلاح الموقف.

لكن إحساسا بالواجب وإصابتها بنوبة لبرودة القدمين جعلاها تتجمد في مكانها عند مائدة الرجلين فالقت عليهما تحية باسمة وسألتهما عن طلبهما.

وبدلا من أن يجيباها نظر أصغرهما في وجهها ثم قال لها:

- إنني أعرفك؟

أبقت "شارلوت" على ابتسامتها وهي تقول له:

- لا أعتقد ذلك.

وعادت تسأل ثانية:

- وماذا تودان تناوله هذا المساء؟

طلب منها الرجل الآخر شرابا لكليهما في حين تابع صديقه

إخضاعها لتقييم فاحص بعينيه. وقبل أن تتمكن من مغادرة المائدة أمسك زبونها بذراعها قائلا لها في تعجب:

- لقد تذكرت! أنت "شارلي".. "شارلي هاربر". كنا نذهب سويا إلى المدرسة الثانوية "بلات فالي".

التفتت إليه "شارلوت" وراحت تنظر إليه في ذهول ثم قالت له:

- معذرة. لا أستطيع أن أتذكر اسمك.

- "جاري".. "جاري ساندرز". كنت أجلس إلى جوارك في درس الرياضيات.

- أوه تذكرت الآن.

وعلى نحو تقليدي ودون أن تعني ما تقول قالت له:

- حسنا من اللطيف أن أراك ثانية.

وقبل أن تتمكن من الاستئذان أسرع "جاري" يقول لها:

- لم أتوقع أبدا أن أجدك هنا وتعملين بمكان كهذا.. كنت فتاة محافظة دائما! علينا أن نجتمع سويا ونستعيد الذكريات القديمة الحلوة.

ابتسمت "شارلوت" ابتسامة خالية من أي وعود له فاردف يقول لها متحمسا:

- إذا لم يكن لديك عمل ليلة الغد فهناك حفل...؟

ولم تتح لها فرصة صياغة رفضها حيث أتاها صوت رجالي عميق مألوف من خلفها يقول لها:

- هل هناك ثمة مشكلة يا "شارلي"؟

وثارت أعصابها لحضور "هاريس" المفاجئ فقالت له:

- لا بكل تأكيد يا هار... يا سيد "جوردان".

وبعد أن شعرت بكونها مضطرة لتبرير وقوفها الطويل أمام مائدة الرجلين تمتمت قائلة له:

– "جاري"... "جاري" زميل دراستي وكنا نذهب سويا إلى المدرسة الثانوية.

وبوجه عابس ونظرة أفزعتها من عينيه قال لها:

– حقا. حسنا أرى أن توفري ما لديك من ذكرياتك لوقت فراغك.

وبدا على ملامحها الضيق والغضب الشديد وهي تحدق إليه لكنها لم تجرؤ على أن تنبس ببنت شفة. فقد كان يتصيد لها الأخطاء كي يجد مبررا لفصلها من العمل. وأخيرا حملت نفسها على الانسحاب من أمامه. وكانت "شارلوت" قد قطعت خطوتين فقط عندما سمعت "جاري" يناديها قائلا:

– هيه ماذا عن الحفل؟

وترددت "شارلوت" لكنها لمحت نظرات تنم عن الغضب المكبوت في عيني خطيبها السابق فاعادت النظر إلى "جاري" راسمة ابتسامة دافئة على شفتيها وهي تقول له:

– سوف أحضر بالتأكيد. إنها لمتعة حقا. يمكنك الاتصال بي في المنزل غدا كي نحدد موعدا لنتقابل فيه.

ورمقت وجه "هاريس" متحجر القسمات بنظرة الانتصار قبل أن تمضي في طريقها مبتعدة.

راحت "شارلوت" تجول بناظريها في تكاسل في أرجاء المظلة الخشبية المكتظة بالمدعوين باحثة عن مرافقها. وكان ضيوف الحفل المدعوون لافتتاح المبنى الجديد بمزرعة "ميتشيل" غاية في المودة

والترحيب معها. وقام "جاري" بتقديمها للمدعوين عندما وصلا إلى مقر الحفل ورقص معها مرات قليلة قبل أن يفترقا، لكن "شارلوت" لم تفتقد رفيقها لوجود الكثيرين غيره حولها لتسليتها.

ولم تكن "شارلوت" في حاجة إلى التساؤل بشان ما كان "جاري" منهمكا فيه. فبينما أخذت ترقص وتتحدث وتستمتع بوقتها برفقة ضيوف الحفل. كان "جاري" يستمتع بالشراب الذي أكب عليه طوال الوقت.

وأدركت "شارلوت" أن التمسك بالكثير من الأمل في أن يتخلى لها عن مفاتيح السيارة كان بعيد المنال إن لم يكن مستحيلا. فقد أسرف "جاري" في الشراب ولم تكن تتمنى أن يسرف في الشراب هكذا قبل قيادة السيارة ولكن... وكانت "شارلوت" تتوق شوقا للرحيل والعودة إلى شقتها فقالت له:

– فلنذهب. أود أن أودع أسرة "ميتشيل" وأشكرهم على دعوتهم لي.

وافقها "جاري" قائلا لها:

– كما تشائين.

قال لها ذلك وهو يقودها نحو رجل وامرأة كانا واقفين قرب مدخل المظلة. وما إن وصلا إلى حيث وقف الرجل والمرأة حتى أدركت "شارلوت" هوية الرجل والمرأة. اللعنة! يالله من قدر ذلك الذي جاء بـ"هاريس" وخطيبته إلى هنا الليلة. أم تراه اكتشف بطريقة ما أن هذا الحفل كان المكان الذي اعتزم "جاري" اصطحابها إليه؟

وفي طريقهما لمغادرة مقر الحفل تحدث "جاري" بصوت مرتفع معطيا لها الفرصة للحظة لاستجماع شتات نفسها وهو يقول للسيد

"ميتشيل" مودعا:

– نشكركم على هذا الحفل الرائع.

ورماه السيد "ميتشيل" بنظرة فاحصة وهو يقول له بلهجة جافة:

– تبدوان على أنكما استمتعتما بوقت طيب. وأخيرا وجدت "شارلوت" صوتها فقالت للسيد "ميتشيل":

– نعم. لقد استمتعنا بوقتنا كثيرا وأشكركم على دعوتي إلى الحفل الرائع.

أكدت لها السيدة "ميتشيل" قائلة:

– سعيدة بحضورك إلى حفلنا ومسرورة بلقائك اليوم.

وقبل أن يتمكنا من المضي في طريقهما إلى خارج مقر الحفل تدخل السيد "ميتشيل" الذي راح يوجه نظرات قاسية لـ"جاري" الذي أفرط في الشراب كما كان يبدو واضحا على ملامح وجهه الممتقع وعينيه المتوهجتين وقال لهما:

– ربما كان من الحكمة أن تدعا شخصا ما آخر يقود السيارة بدلا منك يا "جاري".

وهنا نظر "جاري" إلى "شارلوت" طلبا لمساندتها له قائلا للسيد "ميتشيل":

– إنني بخير حال ولم يؤثر في الشراب إلى هذه الدرجة.

وقطع عرض "هاريس" الصمت الذي تبع قول "جاري" الأخير وهو يقول:

– أستطيع توصيل "شارلي" إلى البلدة.

اعترضت عليه "جانيس" قائلة له بوجه متجهم:

– ولكن يا عزيزي "هاري" فنحن قد وصلنا إلى هنا لتونا.

وأكد لها "هاريس" بتعبير رقيق كسا وجهه:

– لن يستغرق ذلك سوى بضع دقائق.

وأردف قائلا بعد أن وجه نظرة باردة إلى "جاري":

– أعتقد بأنه يجب علي توصيل "شارلوت" إلى منزلها.

وكان التجهم مازال باديا على وجه "جانيس" عندما تدخلت "شارلوت" قائلة:

– أنا واثقة بأن "جاري" بخير وليس لدي مانع في أن يقوم بتوصيلي إلى المنزل.

وأثنى عليها "جاري" مستحسنا قولها ومساندتها له فامتدحها قائلا:

– تلك فتاتي حقا!

والآن أما وقد ألصقت نفسها بـ"جاري" فقد شقت على نفسها كثيرا بالتظاهر بشيء من الكرامة وعزة النفس وهي تتبعه عبر باب الخروج من مقر الحفل.

ولم تنطلق بهما السيارة طويلا عندما أحست "شارلوت" بالسيارة تدور ثم تتمايل بهما يمينا ويسارا وهي تتحرك فوق طريق غير مستو. وفتحت "شارلوت" عينيها على اتساعهما فرأت حزما من القش تحف الطريق ثم قام "جاري" باستخدام الفرامل وإطفاء الأنوار الأمامية للسيارة.

والتفتت تنظر إلى مرافقها في ضوء القمر الشاحب وهي غير مصدقة لما حدث. وسرعان ما قام "جاري" بفك حزام مقعده وأخذ يقترب منها. وقبل أن تتمكن من الإفلات منه انقض على فمها وطبع على شفتيها قبلة طويلة رطبة. وهالها ما فعله فانفجرت فيه قائلة:

www.elromancia.com

– لابد أنك تمزح!

سألها "جاري" قائلا وهو يداعب أنفها:

– ماذا تقصدين؟

ردت عليه ناصحة وهي تنظر إليه باحتقار:

– دع عنك التفكير في مراودتي عن نفسي في سيارة! اعتقدت بانني قد تركت ذلك النوع من مباريات المصارعة ورائي في المدرسة الثانوية.

سألها قائلا:

– ألا تحبين المطارحة الغرامية في سيارة؟

– وماذا تعتقد أنت؟

– إذن فانت لم يسبق لك ركوب سيارة كسيارتي. إن بها ما يشبه سريرا مزدوجا.

وثارت ثورتها واستشاطت غضبا منه وصرخت في وجهه قائلة له:

– أنت أيها القرد المغرور! لن أطارحك الغرام حتى وإن أحضرت لي ملاءات من الحرير وفراش من الريش الناعم. إنك تشعرني بالغثيان. دعك من هذا وخذني إلى المنزل.

واحتدم غيظه فقال لها:

– دعك من التظاهر بالفضيلة ألست واحدة من أولئك اللاتي يعملن في الحانات من فتيات الليل. لست سوى فتاة ليل رخيصة وسوف آخذ منك ما تركت غيري يأخذه منك.

شعرت "شارلوت" بميل للقيء لكن الخوف ألزمها الصمت وذهب بها الغضب كل مذهب. وبدا أن "جاري" قد أفاق لكن كتفيها كانتا تؤلماها من موضع إطباقه عليهما وهو يحاول مطارحتها الغرام عنوة.

وأنذرتها غريزتها من أن التنفيس عن غضبها وإحباطها لن تكون عواقبه محمودة مطلقا ولن يزيد الأمور إلا تعقيدا.

ابتلعت "شارلوت" ريقها بصعوبة قبل أن تقول له على مضض:

– كان ذلك... كان لطيفا.

غمغم "جاري" مذعنا قائلا لها:

– أعلم أنك كنت تمزحين لإثارتي فحسب.

– ألا تعتقد باننا في حاجة إلى فتح نافذة من النوافذ؟ فالجو يزداد حرارة هنا.

أجابها مشاكسا بقوله:

– هذا لكثرة الملابس التي نرتديها فحسب وزاد خوف "شارلوت" وفزعها فتشبثت بمقبض باب السيارة المجاور لها كما لو كان طوق النجاة لمن أشرف على الغرق لكنها لم تجرؤ على فتح الباب بعد. إنها إذا حاولت الهرب وأخفقت فلا تدري أي نوع من الانتقام سوف ينزله بها.

راح يتفحصها لبرهة قصيرة ثم استسلم لها قائلا فجأة:

– إن الجو حار هنا حقا. سوف أفتح نافذة.

الفصل السابع

ما إن التفت "جاري" بعيدا عنها حتى سحبت "شارلوت" مقبض الباب لأعلى ودفعت الباب بكل قوتها ملقية بنفسها خارج السيارة وتعثرت على أثر ذلك ثم استعادت توازنها ثم أطلقت ساقيها للريح

وهي تعدو مسرعة حتى أوقفها اصطدامها بحزمة قش فسقطت فوقها واستقر وجهها على الجانب الآخر منها. وحبست أنفاسها وهي راقدة على الأرض في انتظار صوت وقع أقدام تقترب منها. كان "چاري" قد نزل من السيارة في ذلك الوقت وكان باستطاعتها سماعه يتعثر أثناء بحثه عنها وندائه عليها.

وشعرت كما لو كانت قد رقدت هناك حابسة أنفاسها لساعات طويلة عندما سمعته يصيح بصوت غاضب قائلا:

– أيتها القذرة الغبية! فلتبقي هنا طوال الليل إن أردت ذلك.

وسمعته يدير محرك السيارة ثم زئير المحرك وهو ينطلق في طريقه مسرعا.

وفي تثاقل نهضت واقفة على قدميها. ومن بعيد استطاعت أن ترى اللون الأحمر الآخذ في الأفول للأنوار الخلفية لسيارة "چاري" الذي كان عائدا إلى مزرعة عائلة "ميتشيل". وكانت يداها ترتجفان وراحت تزيل ما علق بملابسها من القش والرمال. وكانت تحس ألما شديدا في ذراعيها بفعل العديد من الخدوش والرضوض بهما وكان أحد مرفقيها يختلج ألما حيث استقرت فوقه عند سقوطها على الأرض.

راحت تجر قدميها وهي تمشي بخطى وئيدة عائدة أدراجها إلى الطريق. وقبل أن تصل إلى الطريق انحرفت عن مسارها وجلست على كومة قش وراحت تفكر في موقفها وتسترجع ما حدث في السيارة مع "چاري" وشعرت بغصة في حلقها، وفي عجز تام سقطت على ركبتيها وتجشأت بشدة واجتاحتها موجات الغثيان وقد راح العرق البارد يتفصد من جبينها. وعندما مرت نوبة الغثيان في

نهاية الأمر شعرت بأنها منهكة القوى واغرورقت عيناها بالدموع.

تحاملت "شارلوت" على نفسها ونهضت على قدميها وقصدت الطريق. كان الطريق أمامها طويلا ولم يكن الرثاء لذاتها ليثني عزمها أو يضعف إرادتها للخروج من مأزقها. ولم تكد تصل إلى الطريق العام عندما شق صوت سيارة تقترب سكون الليل الذي كان يلفها. وعلى مدى ثانية واحدة خطر لها أن تعدو نحو السيارة وتلوح لقائدها كي يتوقف لنجدتها لكنها تخلت عن هذه الفكرة. فما كان لها بعدما حدث مع "چاري" في تلك الليلة أن تخاطر بقبول توصيلة من شخص غريب.

وقفت "شارلوت" جامدة حيث كانت وانتظرت مرور السيارة التي كانت تنطلق بسرعة ولكنها بدت على أنها تبطئ من سرعتها وهي تقترب من مدخل الحقل الذي كانت "شارلوت" موجودة به. وعندما اتجهت الأنوار الأمامية للسيارة نحوها في أحد منحنيات الطريق أدركت "شارلوت" أن السيارة تدور في طريقها لدخول الحقل.

وسمعت باب السيارة يرتطم بعنف خلفها وشخص ما ينادي باسمها. وأصابها الفزع والهلع فاطلقت ساقيها للريح وكادت رئتاها أن تنفجرا من سرعة عدوها هربا من المجهول ومع ذلك كانت تسمع وقع الأقدام يقترب منها. وكاد الخوف يذهب بعقلها عندما سمعت صوت ارتطام خلفها ثم صوت رجل غاضب يسب ويلعن بعنف. وعند ذلك توقفت والتفتت حولها في حذر وأخذت تنظر إلى شبح الرجل الممدد على الأرض على بعد عدة أقدام خلفها.

– "هاريس"؟

أجابتها سلسلة من الأنات والتأوهات واللعنات، لكنها زادت

www.elromancia.com

يقينها وتأكدها من هوية مطاردها. وخطت خطوة نحوه ثم عادت تناديه ثانية قائلة له:

– "هاريس"؟

وأجابها بلهجة حادة قائلا لها:

– بالطبع إنه أنا. ومن يكون غيري حتى يكون من الغباء بحيث يضرب في هذا الليل البهيم وسط أكوام القش في هذا الحقل حالك الظلمة؟

تحامل على نفسه ونهض واقفا على قدميه وأخذ يصيح قائلا:

– أوه..

وبينما كان يترنح تهادى إلى حزمة قش وارتمى فوقها متهالكا. عندما وصلت إليه "شارلوت" كان ينظر لأسفل لقدمه التي تؤلمه وقد راح يدور في بطء على كاحله فقالت له:

– هل أنت بخير؟

– لقد التوت قدمي فحسب وسوف تكون على ما يرام في غضون دقيقة.

رفع بصره إليها وسألها:

– وماذا عنك؟ هل أنت بخير؟

غمغمت قائلة له:

– أنا بخير.

وزال عنه تهيجه العصبي السابق فقال لها مترفقا:

– لا يبدو عليك ذلك.

عندما هزت كتفيها تنحى جانبا إلى أحد حافتي كومة القش التي كان جالسا فوقها وسوى لها المكان بجواره، أردف قائلا لها:

– تعالي واجلسي هنا دقيقة. أريد أن أريح كاحلي قبل العودة إلى السيارة.

وعلى مضض فعلت "شارلوت" ما طلبه منها وجلست في الطرف الآخر القصير لكومة القش وعقدت ذراعيها أمامها في حرج. ولم تستطع النظر إلى "هاريس" وبدا عليه أنه لم يكن لديه ما يقوله لها. وتوترت أعصابها فانفجرت فجأة قائلة له:

– أعتقد بأنك سوف تقول لي إنني أستحق ما حدث لي!

– وهل أنت تستحقينه بالفعل؟

– لا. لا أستحقه.

غلبها البكاء وسرت في جسدها رعدة قبل أن تردف قائلة له:

– أنا... كل ما أردته منه أن يأخذني إلى منزلي. ولم يخطر ببالي أبدا... وهنا هزت رأسها حيث انحدرت على خدها دمعة أفلتت من عينها.

لف "هاريس" كتفيها بذراعه وراح يملس على شعرها مهدئا من روعها قائلا لها:

– ماذا حدث؟

حبست نشيجها وأخذت تكافح كي تستعيد رباطة جأشها قبل أن تجيبه قائلة:

– لا شيء حقيقة حسبما أعتقد.

اعتقدت أنه يمزح فحسب. إن البالغين مثله لا يقدمون على إتيان تصرفاته في السيارة وبمكان كهذا!

وحثها "هاريس" بدفئه وطمأنته لها على مواصلة حديثها قائلا لها برفق:

www.elromancia.com

– أكملي.

– حسنا. لقد أوقف السيارة... وأنزل المقعد لأسفل. طلبت منه أخذي إلى المنزل لكن كان قذرا معي. تركته يقبلني وبعدها... أخبرته بأنني أشعر بحرارة الجو في السيارة وعندما تحرك لفتح النافذة فررت منه.

– ولا شيء آخر... ألم...

وانفجرت "شارلوت" باكية في بؤس وتعاسة قائلة له:

– إن ما حدث كان غلطتي في الحقيقة. أنا... كان يجب علي أن أقبل عرضك توصيلي إلى المنزل بسيارتك.

رفع يده وراح يمسح الدموع عن خدها قائلا لها:

– لم يكن ما حدث خطؤك بل سوء حكمك في اختيار من يرافقك وإن كان هذا لا يبرر سلوكه معك. ليس لأي رجل الحق في أن يجبر امرأة على... مهما كانت الظروف كان ينبغي عليه أن يكون...

وضع يده تحت ذقنها ورفع وجهها قبالة وجهه ثم سألها بقوله:

– هل تشعرين بأنك أفضل حالا الآن؟

وهمست له قائلة:

– نعم.

ثم طبع على شفتيها قبلة رقيقة. وراحت "شارلوت" تنظر في عينيه متمنية لو استمر في تقبيلها طويلا. كانت تحتاج إليه وإلى قربه منها وإلى حبه وإلى أن يزيل قبح وبشاعة ما حدث لها.

تعلقت عيناها بعينيه فقال لها:

– لا تنظري إلي هكذا يا "شارلوت".

ورغما عنه خفض رأسه ثانية حيث أطبق فمه على فمها طابعا على شفتيها قبلة طويلة تفيض رقة وحنانا وغرقت "شارلوت" في هذه القبلة تاركة إياها تزيل عنها الذكريات الحزينة المؤلمة وشعورها بالإذلال والمهانة. وفجأة وقف "هاريس" على قدميه قائلا لها:

– من الأفضل لنا أن نذهب الآن.

ثم سار نحو سيارته وهو يعرج قليلا. وراقبته "شارلوت" وهو متوجه إلى السيارة فشعرت فجأة بالضياع والوحدة. كانت لحظة خاصة وقبلة خاصة ولكن كل شيء انتهى الآن ولن يعود ثانية. فبعد هذا كله يبقى لها أن تتذكر أن "هاريس" مرتبط بأخرى. أسرعت خلفه ولحقت به عندما كاد أن يصل إلى السيارة. وخطر ببالها فجأة أن خطيبته كانت تنتظره في السيارة طوال هذا الوقت فسألته قائلة له:

– نسيت أن أسألك. أين "چانيس"؟

أجابها بعد تردد قائلا لها:

– نحن... إنها قررت البقاء في مزرعة عائلة "ميتشيل".

وأمام صمتها المتسائل أردف قائلا لها:

– إنهم أصدقاء قدامى للعائلة.

تمتمت قائلة له:

– فهمت ما تقصد.

لقد استنتجت "شارلوت" من رد فعل "چانيس" حيال عرض "هاريس" قيامه بتوصيلها إلى المنزل أنهما كانا يعتزمان المغادرة سويا بعد انتهاء السهرة لكن شيئا ما حدث وأدى إلى تغيير خططهما.

عندما استقلا السيارة وانطلق بها "هاريس" في طريق العودة

www.elromancia.com

لاحظت "شارلوت" في الضوء القادم من لوحة أجهزة القياس وجود رضوض وكدمات في يديه فلم تستطع أن تتمالك نفسها فقالت له:

– هل كنت في عراك؟

وأردفت تسأله بعد أن لاحت على وجهه علامات الضيق والغضب:

– من... ماذا حدث؟

رماها بنظرة مضطربة ثم تنهد بصبر نافد قبل أن يقول لها:

– حسنا وماذا كنت تعتقدين بانني سوف أفعل لحمل "جاري" على أن يخبرني بالمكان الذي تخلص منك فيه؟

صرخت قائلة له وقد أصابها الذهول:

– تقصد... أنك قد تعاركت مع "جاري"؟

وسألها متهكما بقوله:

– ألا يشعرك هذا بإثارة الذات؟

– لا بكل تاكيد، ولكن...

توقع سؤالها التالي فأردف قائلا لها:

– وردا على سؤالك التالي، أقول لك إن "جانيس" لم تشعر بالإثارة. فقد تشاجرنا بعد ذلك وقررت هي تمضية بضعة أيام مع عائلة "ميتشيل"!

ودون أن يعطيها الفرصة لاستيعاب ما قاله أضاف قائلا لها:

– منذ اللحظة التي رأيتك فيها ثانية أدركت أنك سوف تكونين مشكلة بالنسبة لي.

قالت له متعجبة:

– أنا ولكني لم أكن موجودة هناك ساعتها.

– لكنك كنت السبب الأصلي لكل هذه المشكلة والفوضى لخروجك مع ذلك الأحمق وإصرارك على أن يقوم بتوصيلك إلى المنزل بسيارته. لقد أحرجت عائلة "ميتشيل" وخطيبتي كي أنقذك من ورطتك!

– لقد ذكرت لي من قبل أنه لم يكن خطئي قيام "جاري" بـ...

قال لها بلهجة ثقيلة:

– أعلم أنني قلت ذلك لكن ما قصدته هو أنك كنت محظوظة حقا. فعندما تركت الحفل لم أكن أعلم ماذا سوف أفعل للعثور عليك والحال التي سوف أجدك عليها. كانت لحظات عصيبة حقا تلك التي سبقت عثوري عليك. فقد كان "جاري" ثملا للغاية ولم يكن واضحا بشأن ما حدث بالضبط بينكما. وكنت أخشى أن يكون قد ضربك حتى أفقدك الوعي.. ثم تركك ملقاة بين الحياة والموت في ذلك الحقل!

صمت "هاريس" وهو يدور بسيارته قاصدا الطريق العام ثم أردف قائلا لها بلهجة تنم عن السخرية والاستهزاء:

– وبعد ذلك كله تفرين مني كالأرنب المذعور!

اعتذرت له قائلة بوداعة:

– إنني آسفة حقا.

رماها بنظرة استهزاء وسخرية جعلتها تتوقف عن التمادي في تقديم الاعتذارات له.

ومع شعورها بالإنهاك قليلا أشارت "شارلوت" إلى الشارع الذي كان يجب عليهما الدخول فيه. وانحرف "هاريس" بسيارته لدخول الشارع الذي أشارت إليه ثم سألها قائلا:

www.elromancia.com

– مازلت تعيشين في نفس المكان؟

رمقته بنظرة غلب عليها الارتباك والحيرة وهي تقول له:

– نعم بالتأكيد.

وعندما لم يوضح سبب سؤاله أردفت تقول له:

– لم أنتقل إلى مكان آخر. لماذا تعتقد بأنني قد انتقلت إلى مكان آخر؟

– اعتقدت فحسب بانك ربما تكونين قد انتقلت إلى مكان آخر.

وكانا على بعد عمارة واحدة من شقتها عندما قال لها:

– أظن إذن أن صديقك قد ترك الشقة وانتقل للعيش بمكان آخر.

– تقصد "چيمي"؟

– إن كان هذا هو اسم الشخص الذي تعيشين معه.

– لم يترك "چيمي" الشقة.

وبوجه متجهم قال لها وهو يتسلل بسيارته إلى داخل المرأب الذي خلا من السيارات:

– فهمت.

وعندما أوقف محرك السيارة التفت ناظرا إليها باحتقار واضح على وجهه رغم إظلام السيارة ساعتها قال لها:

– إن لك شانا حقا. هل تعلمين ذلك؟

رمقته "شارلوت" بعينيها محاذرة وهي تساله قائلة:

– ماذا تعني؟

– أعني أن "چيمي" الذي تعيشين معه و"چاري" الذي خرجت للاستمتاع بوقتك معه لقد بدأت أتساءل لتوي عما حدث حقا عندما كان يقوم بتوصيلك إلى المنزل ثم رأيت أنه من الأفضل لي

إضافة نفسي إلى القائمة فحسب. إنك لم تكوني على ما أعتقد عذراء نقية عندما كنت معك. واعتقدت للحظة عندما كنا بالخارج هناك في حقل القش ذاك في تلك الليلة أنك ربما تتحولين إلى كرة نارية تندلع منها ألسنة اللهب.

لقد كانت تلك اللحظة التي جمعتهما لحظة خاصة لكن "هاريس" دمر كل شيء وأفسده بما قاله. وتعلقت عيناه بعينيها حيث أطلت من عينيه نظرة ازدراء وعقد فمه في احتقار واضح لها. وفجأة كانت "شارلوت" أكثر غضبا من أي وقت مضى عليها.

وفي سورة انفعالها قالت له:

– أنت لست إلا مجرد مخادع حقير. فأنا و"چيمي" يفهم كل منا الآخر. ولن أخدعه. وهو لا يهتم بعدد الرجال الذين أخرج معهم أو عدد الرجال الذين أقبلهم!

وأردفت تقول له غاضبة:

– هل تستطيع أن تقول نفس ما قلت عن "چانيس".. خطيبتك؟

والواقع أنها لم تكن تحب "چانيس" كثيرا. فقد زلفتها باردة ومتصابية في سلوكياتها وتصرفاتها. ومع ذلك فقد كانت ترثي لحال الفتاة في قرارة نفسها. فماذا يمكن أن يكون أسوأ من الزواج من رجل لا يمكن الوثوق به.. إنه ذئب آدمي يطارد أي شيء يرتدي تنورة؟

ودون أن تنتظر إجابته رمته بنظرة قاسية ثم فتحت باب السيارة لتعود وتغلقه بعنف مدويا بعد نزولها من السيارة وتتوجه بعدها إلى مدخل العمارة التي تقع فيها شقتها.

ولما كانت قد تركت مفتاح الباب في حقيبتها التي كانت ماتزال

www.elromancia.com

في سيارة "جاري" فقد عمدت إلى جرس الباب تدقه كي يفتح لها "جيمي" وفي تلك الأثناء سمعت صوت محرك سيارة يدور. وعندما وصل العجوز إلى الباب كان صوت المحرك قد تبدد وتلاشى منذ زمن طويل.

الفصل الثامن

اندفعت "شارلوت" إلى داخل ردهة الفندق في اليوم التالي لتتوقف فجأة عندما رأت "هاريس" واقفا في البار مع "توني". وقبل أن تتمكن من أن تلتفت وتخرج ثانية من الباب الذي دخلت منه لمحها "توني".

– ها هي قد حضرت الآن.

التفت "هاريس" ينظر إليها فمضت في طريقها نحوهما على مضض حتى أنهت رحلتها إلى البار.

وما إن وصلت إليهما حتى ابتدرها عامل البار بسؤاله قائلا لها:

– أين كنت ؟ إنك متأخرة عن موعدك بأكثر من ساعة.

وشرحت له عذرها بقولها:

– تعطلت سيارتي واضطررت لأخذ الباص. والحقيقة أن سيارتها لم تتعطل بل إن محركها لم يدر أصلا، لأن مفتاح المحرك كان في حقيبتها التي نسيت أنها ما تزال في سيارة "جاري".

وشرح لها "توني" قائلا:

– كنت أنا والسيد "جوردان" على وشك أن نستدعي شخصا ما كي يأخذ مناوبتك.

ثم ناولها صينية ونقود الصرف. وعندما مدت يديها لتأخذهما نظر "توني" إلى ذراعها بغرابة ثم نظر إلى "هاريس" قبل أن يقول لهما مشاكسا:

– لابد أن تكونا قد ذهبتما إلى نفس الحفل ليلة أمس.

وأذهلها تخمينه فتجمدت يداها على الصينية ورمقت "هاريس" بنظرة ملؤها الخوف والفزع وهو يسأل "توني" ببرود قائلا له:

– وما الذي جعلك تقول ذلك؟

وبلهجة خلت من الارتياح قال له "توني":

– حسنا. فلتنظر إلى حالكما فحسب كي تعرف.

ودون أن يجرؤ على الإشارة إلى الإصابات التي لحقت برئيسه لفت الانتباه إلى الإصابات التي لحقت بها.

ساد صمت غير مطمئن عندما أدركت "شارلوت" نظرة "هاريس" العابسة إلى الكدمة التي بذراعها. وسرعان ما سحبت صينيتها من فوق الكونتر قائلة:

– حسنا من الأفضل أن أذهب إلى عملي.

أدرك "توني" جو التوتر الذي خيم على المكان فقال هو الآخر:

– وأنا أيضا.

اندفع إلى الجانب الآخر من البار حيث شرع في غسل بعض الأكواب.

وقبل أن تتمكن "شارلوت" من مغادرة البار منعتها يد "هاريس" من المضي في طريقها وراح يقتفي أثر الكدمة برفق بأطراف أصابعه ثم سألها بصوت أجش قائلا لها:

– هل هذا من فعل "جاري"؟

www.elromancia.com

همست له قائلة وهي تحاول جاهدة تجاهل ما اعتراها من أحاسيس من جراء لمسته:

– نعم.

وبوجه متجهم أقر قائلا لها:

– حسنا إذن. لست نادما على ما أنزلته به من عقاب.

سحب يده بعيدا ورمقها بقسمات وجه صارمة قبل أن يقول لها بلهجة قاسية:

– أرجو أن تكوني قد تعلمت الدرس. فلن أكون هناك دوما كي أنقذك. ولذا ففي المرة القادمة إذا طلب منك أحد زبائنك الخروج معه يجدر بك رفض عرضه.

جاء رد فعلها مشوبا بالوقاحة وهي تجيبه قائلة:

– وهل هذا أمر يا سيد "جوردان"؟

– ربما.

أجابته بلهجة لاذعة:

– حسنا. إذن سوف أضع ذلك نصب عيني.

ثم دارت على كعبيها وراحت تتهادى في مشيتها إلى داخل الردهة.

– إنه لأمر مثير للسخرية حقا. سوف يعتقد الناس أننا ندير محطة إسعافات أولية هنا.

التفتت "شارلوت" تنظر وراءها كي ترى ما استرعى انتباهه وحمله على أن يقول ما قاله. وكان "چاري" من وقعت عيناها عليه وقد أخذ يسير ببطء إلى مائدة، لكن وجهه كان مهشما إلى درجة جعلتها تشك في هويته. وعندما التفتت ناحية البار ثانية وجدت

"توني" يراقبها باهتمام بالغ قبل أن يسألها قائلا:

– أليس ذلك هو الرجل الذي كنت تتحدثين إليه هنا ليلة أمس؟

هزت كتفيها قائلة له:

– ربما.

– يالها من مصادفة حقا!

ثم راح يستعرض شريط الأحداث وهو يردف قائلا لها:

– ذلك الرجل على هذه الحالة... وأنت لديك ذراع مستورم بأكمله... والسيد "جوردان" يبدو وكأن شاحنة قد صدمته.

رمقته "شارلوت" بنظرة ساخطة وأسرعت تقول له:

– حسنا. من الأفضل أن أذهب لأرى ما يطلب. وعندما وصلت إلى مائدته ونظرت إلى وجهه عن كثب بصورة أفضل وجدت عداوتها له تتلاشى وتخبو جذوتها. كانت صدمة لها حقا أن تتصور أن "هاريس" قد ضرب إنساناً آخر بهذه القسوة والوحشية.

– مرحبا بك يا "چاري" ماذا تطلب؟

ودون أن يرفع بصره إليها غمغم قائلا لها:

– أهلا. لا أريد أي شيء كي أشربه. حضرت إلى هنا كي أعطيك حقيبتك فحسب.

ومد يده لأسفل بجوار مقعده ورفع الحقيبة فأخذتها منه وقد تملكها شعور بالحرج والرثاء لحاله، وكان ذلك مثيرا للسخرية حقا بعد ما حدث بينهما وعادت تسأله قائلة له:

– هل أنت متأكد من أنك لا تريد أي شيء تشربه؟

وتمتم قائلا لها:

– لا أستطيع أن أشرب أي شيء دون ماصة وهذا الأمر يشعرني

www.elromancia.com

بالسذاجة والحمق.

– حسنا. كما تحب.

عضت على شفتها وهي تراقبه. وأخيرا قالت له:

– أعتقد بأنه يتعين علي أن أعود إلى العمل. أشكرك على إحضار حقيبتي إلي.

– هذا أقل ما يمكنني القيام به.

وأخذ يجلو حلقه قبل أن يردف قائلا لها:

– أنا... أعتقد بأنني مدين لك بتقديم اعتذار لما حدث في الليلة الماضية. لم أكن أعتزم إيذاءك. ولم أكن... حسنا تعلمين أن فتيات الليل... يقلن لا لكنهن لا يعنونها حقا.

وهنا شعرت "شارلوت" ببغضها له يعود ويطفو على السطح ثانية وحدثت نفسها بأنه ربما كان يستحق ما أنزله به "هاريس" من عقاب! وأخيرا قالت له ببرود:

– أشكرك حقا.

وبعدها مضت في طريقها إلى البار. ولم تكد "شارلوت" تصل إلى البار حتى لمحت بطرف عينها "چانيس" متوجهة مباشرة نحو مائدة "چاري". وعندما وصلت إلى المائدة سمعتها تقول لـ"چاري":

– لقد حزمت كل شيء. وسوف يقوم خادم الفندق بإنزال الحقائب إلى السيارة مباشرة. هل أنت مستعد للذهاب؟

مدت الفتاة يدها القلقة وتأبطت "چاري" وهي تساعده على النهوض على قدميه آخذة بيده نحو باب الخروج.

ووبخته قائلة له:

– ما كان ينبغي لك أن تصر على الحضور إلى البلدة معي. عندما

نصل إلى المنزل عليك أن تأوي إلى فراشك على الفور.

وفي ذهول راحت "شارلوت" تراقب باب الخروج يدور منغلقا خلف الاثنين. وكان "توني" يحملق هو الآخر باتجاه باب الخروج ولم تكن دهشته باقل من دهشة "شارلوت". وعندما تابعت طريقها إلى البار حيث كان "توني" ينتظرها عاجلها بقوله:

– إذا لم تخبريني بما يدور هنا فسوف...

ثم هز رأسه ملقيا بنظرة أخرى غير مصدقة نحو باب الخروج.

وأجابته "شارلوت" قائلة:

– لا أعرف شيئا عن ذلك. وكان واضحا عليه أنه لم يصدقها حتى وإن كانت تنبئه بالحقيقة.

وفي حوالي الساعة التاسعة عاد "هاريس" إلى "بلاك ستاليون" وجلس على كرسي في نهاية البار وطلب شرابا وأمضى بقية الليل يحملق إلى كوب الشراب.

كانت كآبته وإحجامه عن ذكر ما حاق بوجهه من إصابات يمزقان قلبها تمزيقا. كما أنها لم تستطع حمل نفسها على التعاطف معه لمجرد كونه مكتئبا كاسف البال لكون خطيبته قد شقت عصا الطاعة وخذلته.

وعندما أحضر لها "توني" الشراب قال لها:

– استمعي إلي. لم لا تضعي هذا الشراب أمامه ثم تذهبي إلى المنزل؟ إنها لمضيعة للوقت بالنسبة لنا أن نمكث هنا وحركة العمل بطيئة كما ترين الليلة.

ترددت "شارلوت" ثم نظرت إلى ساعة يدها. لابد أن "توني" قد نسي أنها لا تمتلك سيارة الآن. لكنها رأت أن بوسعها أخذ الباص إذا

www.elromancia.com

قررت الذهاب. وأخيرا قالت له تعبيرا عن موافقتها:

– حسنا. سوف أقدم هذا الطلب ثم أذهب.

وبينما هي تلتقط صينيتها قال لها:

– أوه. نسيت أنه ليس لديك سيارة الآن.

– سوف آخذ الباص.

تجهم وجهه وهو يقول لها:

– هل أنت متأكدة من ذلك؟ إن الساعة تجاوزت الحادية عشرة– إن الوقت متأخر نوعا ما بالنسبة لك كي تستقلين مركبة النقل العام يا "شارلي".

ربما كان من الأفضل لك أن تبقي معي وسوف أقوم بتوصيلك إلى المنزل بعد أن ننتهي من العمل.

وقبل أن تتمكن من الوصول إلى قرار بهذا الشأن نهض "هاريس" واقفا وتوجه إليهما ثم أعلن لهما قائلا:

– سوف أقوم بتوصيل "شارلوت" إلى المنزل.

– أنت لا...

قاطعها "توني" قائلا لها بعد أن شعر بالارتياح:

– سوف يكون في ذلك حل للمشكلة.

وهنا بدت "شارلوت" مبتئسة ورمقت زميلها بنظرة تنم عن الارتباك والحرج ونظرة أخرى غاضبة نحو "هاريس". ربما كان من اللائق بهما أكثر أن يأخذا برأيها ويشاوراها على الأقل.

– أفضل...

قاطعها "هاريس" هذه المرة بقوله

– ألم يكن من الأجدر بك تقديم هذا الشراب قبل أن يذوب الثلج

فيه؟

وهنا عقدت شفتيها وراحت تحدقه فابتسم لها قليلا قبل أن يردف قائلا:

– إنك فتاة طيبة حقا. ربما كان علي أن أشتري فنجانا من القهوة قبل أن آخذك إلى منزلك. سوف أنتظرك في ردهة الموظفين حتى تنتهي من عملك هنا.

وبصوت يهتز غضبا وضيقا قالت له:

– سوف آخذ تاكسي ولا أريدك أن تأخذني إلى المنزل.

ودون أن تنتظر رده مضت في طريقها إلى خزانة الملابس وقامت بتبديل ثيابها استعدادا للذهاب إلى منزلها. وعندما عادت ثانية وجدت "هاريس" يتفحصها باهتمام طفيف قبل أن يسألها بقوله:

– ولم لا؟

– لان...

ولم تستطع مواصلة الحديث. لم تكن تعرف حقيقة السبب... أو أنها كانت تعلم لكنها لم تستطع إخباره به. وبلهجة عذبة قالت له:

– لأنني لم أعد أواعد رواد البار حسب تعليمات رئيسي!

رماها بنظرة تهكم قائلا لها:

– أعتقد بأنني أستحق ذلك حقا.

وذهب إقراره بغضبها فاردف يقول لها وقد علت وجهه ابتسامة ماكرة:

– إنني أريد توصيلك حقا و... سوف يأذن لك الرئيس في أن تذهبي إن وجدت في نفسك الحاجة إلى ذلك.

وأدركت أنه لا جدوى من مجادلته أكثر من هذا. ومن ناحية فقد

www.elromancia.com

أردف قائلا لها:

– هل ما أطلبه منك بالكثير يا "شارلوت"؟ ألا يمكننا مجرد الخروج وتناول فنجان من القهوة سويا دون الدخول في جدل عقيم؟ وبعدها سوف أقوم بتوصيلك إلى المنزل.

كان من الممكن للمرء القول بأن ذلك لم يكن سوى بداية صداقة جميلة بينهما لكن ذلك كان ضربا من المبالغة. وفي الليالي التي أعقبت تلك الليلة تقاسما كثيرا فنجان القهوة في ساعة متأخرة من الليل في شوارع "فوت هيلز". ورغم ذلك كان هناك قيد على علاقتهما حال دون شعور أي منهما بالاطمئنان الكامل.

ورغم القيود فقد كانا يتحدثان على الأقل وهو ما كانا يفعلانه نادرا في الماضي. وبمرور الأيام وجدت "شارلوت" نفسها تقترب من "هاريس" أكثر فأكثر وحبها له يزداد عمقا في قلبها.

وبعد مرور بضع ليال وبينما كانا واقفين بجوار سيارتها أخذ "هاريس" منها المفاتيح حيث فتح لها باب السيارة حتى تدلف داخلها خلف عجلة القيادة. وترددت للحظة رافعة بصرها إليه دون أن تدرك أن ملامح وجهها وتعبيراته كانت تشي بمشاعرها الجياشة تجاهه. وبصوت أجش قالت له:

– حسنا. تصبح على خير.

قال لها مرددا دون أن يدع لها خيارا سوى ركوب سيارتها:

– تصبحين على خير.

ولم تكد "شارلوت" تدير ظهرها له حتى أمسك بذراعها فالتفتت ثانية إليه ودارت على عقبيها فاحتضنها وطوقها بذراعيه قائلا لها مكررا:

– تصبحين على خير يا "شارلوت".

وبين أحضانه شعرت بالدفء والأمان من تقلبات الدهر.

عندما أطلقها راح ينظر في عينيها وقد غامت عيناه بمسحة حزن، ثم قال لها هامسا بغموض:

– سوف يتعين علينا عمل شيء بشأننا.

ومرة أخرى قال لها:

– تصبحين على خير.

وبنبرة صوت حانية أردف قائلا لها:

– فلتأخذي حذرك وأنت تقودين السيارة في طريقك إلى المنزل.

وعلى نحو مفاجئ أدار لها ظهره ودار حول سيارتها متوجها إلى المدخل الخلفي للفندق. وعندما وصل إلى مدخل المبنى التفت خلفه وقد بدا عليه الارتباك فالقت عليه "شارلوت" تحية متعجلة ثم أسرعت بركوب سيارتها وإدارة محركها. ومن بعيد لم يستطع "هاريس" أن يقرأ ما كانت عيناها تنطق به من حب وتوق.

وعلى بعد عمارة واحدة من الفندق توقفت "شارلوت" بسيارتها على جانب الطريق حيث أراحت رأسها على عجلة القيادة، وأخذت تفكر فيما قاله "هاريس". ماذا كان يقصد بعمل شيء ما بشأنهما؟ هل كان يقصد بذلك أنه سوف ينهي علاقته بـ"چانيس" ويزيل الحاجز الذي يفرق بينهما؟ أم أنه كان يقصد إنهاء علاقته بها؟

الفصل التاسع

عندما وصلت "شارلوت" إلى البار في اليوم التالي أسرعت إليها

"لندا" كي تطلعها على آخر الأنباء قائلة لها وقد اتخذ صوتها نبرة التعجب:

– لقد وصلت في الوقت المناسب كي تسمعي الجديد بشأن السيد "جوردان".

وبعد أن رمقتها "شارلوت" بنظرة حذرة متظاهرة بإعداد صينيتها حتى تتمكن من الذهاب إلى زبائنها أردفت "لندا" قائلة لها:

– كنت أتمنى لو كنت موجودة بغرفة الطعام ظهرا. لقد سمعت "راشيل" جانبا فقط من الحوار ولكن...

وانتقدتها "شارلوت" بلهجة لاذعة قائلة لها:

– ألا تعتقدين بأنه من الوقاحة وسوء السلوك استراق السمع إلى حوار خاص لشخص ما ثم نشره في أنحاء الفندق؟

وبوجه عابس وفم معقود أجابتها "لندا" بقولها:

– لم يكن حوارا خاصا إلى هذه الدرجة.

فقد سمعتهما "راشيل" وهما يتصايحان كل منهما في وجه الآخر.

وعادت "شارلوت" تعنفها بقولها:

– وهذا أيضا لا يعطيها الحق في أن تسترق السمع لكل كلمة تفوها بها.

أخذت "لندا" تعول وهي تقول لها:

– لكننا كنا نتساءل عما يدور بينه وبين خطيبته.

وبطريقة عفوية سألت الفتاة الأخرى محاولة إخفاء اهتمامها المفاجئ قائلة لها:

– هل كان يتشاجر مع "چانيس"؟

ورمتها "لندا" بنظرة استعلاء وهي تجيبها قائلة لها:

– لا تقولي لي إنك مهتمة بالأمر يا آنسة.

زمت "شارلوت" شفتيها وهي تعترف لها بلهجة حازمة قائلة:

– ربما كنت مهتمة.

رمتها "لندا" بنظرة خبيثة متفحصة قبل أن تقول لها:

– لقد ظللت أتساءل عنك وعنه.

فبعد تلك الليلة التي قام فيها الرئيس بتوصيلك إلى المستشفى لخياطة يدك المصابة سمعت أنك ذهبت لرؤيته بمقر إقامته بعد يومين من ذهابه معك إلى المستشفى.

ودون أن تشبع حاجة "لندا" إلى التفاصيل طلبت منها ببرود قائلة لها:

– أخبريني فقط بما حدث بعد ظهر اليوم.

ولم تلن لها "لندا" إلا بعد أن وجهت إليها نظرة تنم عن العنف المكبوت فأجابتها قائلة لها:

لقد تناول السيد "جوردان" وخطيبته طعام الغداء سويا، ولم تسمع "راشيل" كثيرا مما قالاه في البداية لكنها اعتقدت بأنهما كانا يتحدثان عن ذلك المدعو "چاري" الذي كانت "چانيس" تقابله. وعلى أية حال فقد أخذا يتشاجران في وقت لاحق. ويبدو أن "چانيس" أرادت فسخ الخطوبة، لكن السيد "جوردان" لم يدعها. ومن الواضح أنها قد أقدمت على خلع خاتم الخطوبة وحاولت إعادته له لكنه أبى أخذه منها. وذكرت "راشيل" أنه مد يده إلى حيث وضعته والتقطه ثم أعاده إلى إصبعها.

صمتت "لندا" كي تلتقط نفسها وعندما لم تنبس "شارلوت"

www.elromancia.com

ببنت شفة تابعت حديثها قائلة:

– لابد أن الفتاة قد جنت. لم يكن بمقدور راعي البقر ذلك الذي كانت تتسكع معه أن يشتري لها خاتما قيما من الزمرد كالخاتم الذي شراه لها السيد "جوردان". هل بإمكانك تصور محاولتها إعادة الخاتم إليه؟ أعتقد بأنه ينبغي عليها إصلاح ما أفسدته بسوء تصرفها قبل أن يملها وينبذها على الرغم من أنه بعد ظهر اليوم بدا وكأنها سوف ترتكب جريمة قتل وهو مازال يحاول ثنيها عن عزمها!

نظرت "لندا" إلى وجه "شارلوت" فتوجست خيفة مما دفعها إلى أن تسألها محاذرة قائلة لها:

– هل أنت بخير؟

ابتلعت "شارلوت" غصة قاسية بحلقها قبل أن تجيبها بقولها:

– نعم... أنا بخير بكل تأكيد.

وبجبين مقطب في تجهم قالت لها "لندا" في تشكك:

– تبدين شاحبة بصورة رهيبة. ألا تشعرين بالسقم؟

حاولت "شارلوت" جاهدة أن تبدو رابطة الجأش ومتماسكة وهي تقول لـ"لندا":

– إنني بخير... بخير. وربما كان تأثير الإضاءة هنا فحسب.

بعدها التقطت صينيتها ومضت في طريقها إلى داخل الردهة. وشعرت بتخلخل ساقيها بينما ارتسمت على شفتيها ابتسامة زائفة عندما توقفت بجوار إحدى الموائد لأخذ طلب.

وبمجرد أن وضعت "شارلوت" صينيتها على الكونتر حتى كان "هاريس" قد دلف إلى الردهة ثم حمل معه كرسيا قبل أن يتجه نحوها. ولمحت اقترابه منها بطرف عينها لكنها نكرته ثم غلبها حبها

له فشعرت بنشوة عظيمة لمجرد وجوده.

– يبدو كما لو أنك على وشك الانتهاء من العمل هنا. لم لا تدعين "كيڤن" تنهي ما بقي من عمل ونذهب نحن؟

عضت "شارلوت" على شفتها السفلى وأخذت تركز انتباهها على يديها اللتين أراحتهما فوق الكونتر ثم قبضتهما عاقدة أصابعها بشدة. كانت تريد أن تمد يديها نحوه وتجذبه نحوها وتجري أطراف أصابعها على جسده العضلي الصلب.

لكنها كانت تتوقع أنه قد أتى الليلة كي يخبرها بأن كل شيء قد انتهى بينهما وأنه قد تصالح مع خطيبته وأنه لم يعد لها مكان في حياته بعد ذلك.

قالت له بصوت أجش رافضة النظر إليه خشية أن تظهر لوعتها في عينيها:

– لا أستطيع الخروج معك الليلة.

– لا تستطيعين؟ لماذا؟

هزت كتفيها قبل أن تجيبه قائلة:

– إن الوقت متأخر.. ويجب أن أعود إلى المنزل.

وذكرها قائلا:

– الوقت يكون دائما متأخرا عندما نخرج بعد انتهائك من عملك؟

سمعت نبرة الإحباط في صوته وهو يردف قائلا لها:

– فما الفرق الليلة؟

– لا شيء.. فقط أريد العودة إلى المنزل الليلة.. أود أن أعود إلى المنزل مباشرة كل ليلة فحسب.

www.elromancia.com

– وماذا يعني ذلك بالضبط؟

زادت من صلابة صوتها وخشونته وهي تقول له:

– كما فهمت. لا أريد الخروج معك من الآن فصاعدا بعد العمل أو في أي وقت آخر.

– أن تذهبي مباشرة إلى المنزل؟

– نعم هذا صحيح.

سألها محاذرا قائلا:

– هل هذا ما تريدينه حقا؟

– ألم يكن ذلك ما أخبرتك به؟

التقطت الأكواب المتسخة التي أحضرتها وبدأت في تعبئتها في غسالة الصحون محدثة جلبة متعمدة. وسألها "هاريس" بقوله:

– هل أنت متأكدة من أنك لا تريدين أن تأتي معي... أو أن هناك شخصا ما آخر لا يريدك أن تذهبي معي؟

وهنا التزمت "شارلوت" الصمت فعاد يسألها بلهجة قاسية قائلا لها:

– ماذا هناك يا "شارلوت"؟ هل بدأ ذلك الرجل الذي تعيشين معه في التساؤل عن سبب تأخر عودتك إلى المنزل؟ هل تساوره الشكوك ويرتاب في أمرك؟

وتشبثت بالعذر الذي قدمه لها كوسيلة لإنهاء تلك المواجهة الصعبة فقالت له:

– شيء من هذا القبيل.

وأردف يقول لها مجبرا إياها على النظر إليه وبدأ قائلا:

– "شارلوت". ألا تعتقدين بأنه قد حان الوقت كي تنظري في أمر

تلك العلاقة... وتفكرين في إنهائها؟ إنك لا تستطيعين بلوغ السعادة مع ذلك المدعو "جيمي". وإذا كان بوسعك بلوغها معه لما كنت خرجت معي من البداية. أنت وأنا...

وتعلقت عيناه بعينيها طويلا قبل أن يردف قائلا لها بصوت واهن:

– يبدو هذا الأمر على أنه مشهد فاضح. ويجب عليك الخروج منه والتوقف عن لعب دورك فيه.

ولفهما الصمت لبرهة وشعرت خلالها "شارلوت" بالغضب يتأجج داخلها فقالت له بلمحة ساخرة:

– لماذا يجب علي ترك "جيمي"؟ كي أتمكن من تناول القهوة معك بعد العمل؟

– لم يكن هذا ما كنت أرمي إليه وأنت تعلمين ذلك. أعتقد أن هذا الرجل غير لائق بالنسبة لك.

– هل تعتقد ذلك الآن حقا؟ ولكن حدث أنني أحببته.

ولاحظت امتقاع لونه فازداد إصرارها على ألا تلين أو تضعف أمامه وقالت له:

– إن رفضي الخروج معك لا علاقة له بـ"جيمي". فهو رجل عجوز... إنه يبلغ من العمر خمسة وثمانين عاما. وليست هناك أية علاقة من النوع الذي تظنه بيني وبينه.. ولن تربطنا أنا وأنت علاقة من ذلك النوع أيضا.

نظر إليها طويلا مقطوع النفس لدقيقة قبل أن يقول لها:

– أتقولين إن ذلك الرجل... ذلك الشخص الذي تعيشين معه يبلغ من العمر... و...

ولم يستطع متابعة حديثه فرمقته بنظرة استهزاء وسخرية قبل أن

www.elromancia.com

تساله قائلة:

– إذن ماذا ترى؟

واتهمها غاضبا وقد أخذت ابتسامتها الساخرة تؤكد له صدق ظنونه قائلا لها:

– لماذا أيتها... لقد استمتعت بوقتك وأنت تجعلين مني أحمق. أليس كذلك؟ لقد تركتني أعتقد بانه كان عشيقك.

– كنت أعلم ما تظنه. ولم أهتم.. ولا أهتم بذلك الآن أيضا.

وأجبرها على النظر إليه قائلا لها:

– "شارلوت". كان بوسعنا أن...

قاطعته قائلة له بلهجة باردة:

– كان بوسعنا ماذا... أن نلعب مسرحية الزوج والزوجة والعشيق؟

ثم أردفت تقول له:

– والآن أخبرني بالحقيقة. هل مازالت خطوبتك لـ"جانيس" قائمة؟

تردد وتصلب فمه قبل أن يجيبها في النهاية بهدوء وبساطة قائلا لها:

– نعم.

وسألته بصوت خشن قائلة له:

– هل صحيح أنها حاولت فسخ خطبتكما بعد ظهر اليوم ومنعتها أنت من ذلك؟

– هل سمعت بذلك؟

وانفجرت فيه قائلة له:

– جميع من في هذا الفندق اللعين سمع بذلك! إذن فهذا صحيح.

ورمقها بنظرة عجلى ثم قال لها:

– يمكنني أن أشرح لك يا "شارلوت".

– لكن هذا صحيح!

– نعم إنه صحيح لكنه ليس كما تظنين..

– إنك لن ترغب في معرفة أفكاري!

ونصحته بلهجة حادة قائلة له:

– اخرج من هنا! ودعني وشأني... لا أريد أن تربطني بك أية علاقة بعد اليوم.

بدأت علامات الغضب تغشى وجهه وعينيه وهو يقول لها:

– ولكن من حقي أن أشرح لك حقيقة الأمر.

وبلهجة لاذعة قالت له:

– أوه أستطيع أن أتصور. دعني أخمن... إنها لم تفهمك؟ إنني لم أعد تلك الفتاة الساذجة ابنة السابعة عشرة. كنت غبية للغاية عندما ظننت أن رجلا مثلك سوف يهتم يوما بفتاة مثلي. كل ما كنت تريده هو فتاة تطارحها الغرام فحسب.. وهذا كل ما تريده الآن أيضا! ماذا هناك؟ هل صديقتك العزيزة باردة المشاعر والأحاسيس؟

أمرها قائلا لها وهي تنظر إليه نظرة تثير الشك:

– دعك من "جانيس" الآن.

وراح يحدق إليها قبل أن يضيف قائلا لها:

– يبدو أنك تنسين بضع حقائق يا سيدتي. لقد طلبت منك الزواج وكنا مخطوبين وقمت أنت بفسخ الخطوبة.

– ألن يريحك ذلك؟ لابد أنك شعرت بالارتياح وراحة البال لإزاحة تلك العقبة الكؤود من طريقك!

www.elromancia.com

– لم تكن هناك أية عقبة كؤود.

رمقته بنظرة غير مصدقة وهي تسمعه يتابع حديثه قائلا:

– كانت لدي رغبة حقيقية وأكيدة في الزواج بك.. سواء كنت حاملا أم لا.

وارتسمت علامات السخرية على شفتيها وهي تقول له:

– أوه لا تكذب علي يا "هاريس"! سوف تخبرني بعد ذلك أنك كنت تحبني!

ولم يجبها مباشرة بل راح ينظر في عينيها لبرهة قبل أن يقول لها في هدوء:

– من الواضح أنك لن تصدقيني إذا قلت لك: إنني كنت أحبك بالفعل.

وهنا شعرت بجفاف فمها وابتلعت ريقها بصعوبة قبل أن تقول له بصوت أقرب إلى الهمس:

– لا أستطيع تصديقك.

فقال لها بثبات وصوت حزين:

– ولم أتوقع منك أن تصدقيني.

ثم أردف قائلا لها بصوت رقيق بارد:

– كنت أنت من يصرح بحبه فقط إذن. أليس كذلك؟

وأجفلت "شارلوت" إزاء تلميحه إلى سذاجتها. لقد جعلت من نفسها حمقاء وهي تتوسل إليه كي تستعيد حبه. والتوى فمه في استهزاء وهو يقول لها:

– لكنك كنت من تخلص من طفلنا..

وأعاد خاتم الخطوبة. وما كان لي أن أدعك تفعلين غير ما فعلت

والتفت "هاريس" بعيدا عنها ثم مضى في طريقه نحو باب الخروج. وراحت "شارلوت" تراقبه في ذهول وقد تملكها شعور بأنه قد اعتدى عليها. إنها لم تتخلص من الطفل بل كانت مشيئة الله أن تتعرض للإجهاض. ومع ذلك كانت عيناه تتهمانها بأنها قاتلة. وعندما وصل إلى باب الخروج نادت "شارلوت" قائلة:

– "هاريس"؟

لكنه لم يتوقف أو ينظر خلفه بل دفع الباب ليفتحه ثم خرج منه.

الفصل العاشر

كانت "شارلوت" قد انتهت لتوها من مطالعة مجموعة من أوراق الاختبارات القديمة عندما سمعت صوت ارتطام في المطبخ. وللحظة جلست في مكانها لا تبدي حراكا ثم سقطت الأوراق من حجرها عندما وثبت لأعلى ناهضة على قدميها ثم أسرعت إلى المطبخ.

وهناك وجدت "چيمي" راقدا على الأرض على هيئة كومة. ودون أن تضيع أي وقت جثت على ركبتيها بجواره. وكان "چيمي" واعيا لكن وجهه كان يتلوى ألما.

– ماذا حدث؟

وغمغم قائلا لها وهو يحاول النهوض على قدميه:

– كنت أقوم بأخذ علبة سجائر فحسب.

لكنه لم يقو على النهوض حيث اجتاحته نوبة ألم شديدة وراح جبينه يتفصد عرقا.

– دعيني التقط نفسي فقط وسوف أكون بخير. لم أعد أطيق

www.elromancia.com

المستشفيات على أية حال.

شعرت "شارلوت" بأنها على وشك أن تذرف دموعها رثاء لحال صديقها العجوز لكنها أجبرت نفسها على التماسك ورباطة الجأش وهي تقول له:

– أنت بحاجة للفحص الطبي. أعلم أنك ربما تكون قد أصبت ببعض الرضوض ولكني أريد أن أطمئن إلى أن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد إصابة عابرة بفعل سقوطك.

وعندما ذهبت إلى التليفون شعرت فجأة بالخوف العميق يعض قلبها. ترى ما الذي تسبب في سقوط "جيمي" بداية؟

كانت "شارلوت" قد خرجت لتوها من مبنى الخدمات المكيف حيث كانت غرف الكشف الطبي الخاصة بطبيب "جيمي" واقعة تحت وطأة حرارة أشبه بحرارة الفرن في صيف "كولورادو" الهجير. وكانت الشمس تلفح الرصيف بأشعتها وقد بلغت حرارتها درجة تكفي لقلي بيضة. ومع ذلك فقد شعرت "شارلوت" ببرودة شديدة تسري في جسدها.

لكنها وجدت نفسها عاجزة فجأة عندما لف خصرها ذراع عضلي قوي ووجدت جسدها يضغط قبالة صدر صلب. لكن حضن "هاريس" الآمن بكل ما كان له من تأثير عليها لم يكن ليوقف تدفق دموعها.

ابتلعت ريقها بصعوبة وكتمت حزنها. وغمغم "هاريس" بصوت حازم لكنه مهدئ قائلا لها:

– هذا يكفي الآن.

حاولت جاهدة استعادة توازنها وأفلحت في ذلك قليلا ثم تمكنت

أخيرا من أن تقول له:

– شعرت بأنني حمقاء... وأنا أبكي وأذرف الدمع ها هنا في الشارع.

دفنت وجهها في ثنايا قميصه القطني وقد انبجس من عينيها سيل آخر من الدموع. وطمأنها قائلا لها:

– كل شيء على ما يرام فاطمئني.

وغلبتها عواطفها وارتباكها فطأطأت رأسها كي تتحاشى نظرات عينيه. وسألها برفق قائلا لها:

– ماذا حدث يا "شارلوت"؟

وإزاء رفضها الإجابة عن سؤاله قال لها:

– لابد أن أعترف لك... أنني كنت أراقبك. وكنت مارا بسيارتي عندما رأيتك تخرجين من مكتب الطبيب.

وهز كتفه وهو يضيف قائلا لها:

– لقد لاحظت شيئا ما على هيئتك... فأوقفت سيارتي وتبعتك.

وقبض على يديها في إصرار مؤلم قبل أن يردف قائلا لها:

– أعلم أنك لم تأتي إلى العمل على مدى أسبوعين... واعتقدت أنك تستعدين لوظيفة التدريس هذا الخريف. وتساءلت عما إذا كنت قد قررت ترك عملك في "بلاك ستاليون" مبكرا. ألا يمكنك أن تخبريني ماذا بك؟ هل أنت... هل أنت مريضة؟

هزت رأسها عندما لاحظت قلقه ولهفته قائلة له:

– لست أنا المريضة... إنه "جيمي".

وهنا عضت "شارلوت" على شفتها محاولة حبس الدموع التي بدأت تشق طريقها إلى عينيها. وأسرع "هاريس" يهدئ من روعها

www.elromancia.com

حيث لف كتفيها بذراعه محاولا السيطرة على الموقف المؤلم واقترح عليها قائلا لها:

– فلنذهب لتناول فنجان من القهوة وتروي لي ما حدث.

وطوحت برأسها رافضة اقتراحه قائلة له:

– لا أستطيع الذهاب إلى أي مكان وأنا بحالتي تلك.

مدت يدها لأعلى ومسحت دمعة ضلت طريقها من خدها. وفي محاولة لإيجاد حل وسط قال لها:

– ما رأيك في الذهاب إلى محل إقامتي؟

وتوترت أعصاب "شارلوت" وتساءلت في قرارة نفسها عما سوف يحدث لو أن "جانيس" كانت هناك.

– أنا...

وكما لو كان يقرأ أفكارها لم يجبرها على إنهاء رفضها قال لها "هاريس" بهدوء:

– سوف نذهب للتنزه في السيارة فقط.

وعادا أدراجهما سالكين الطريق الذي قطعته "شارلوت" من قبل وحدها. لم تكن تصدق أن "هاريس" يرافقها ويسير معها خطوة بخطوة واضعا ذراعه القوية التي تشعرها بالأمان حول ظهرها. وكانت معنوياتها مرتفعة ومنتشية كما لو أنها قد ألقت بكل ما كان يثقل كاهلها من قبل من توتر عصبي رهيب وكآبة على منكبيه العريضين. ولم يكن من حقها أن تتوقع منه أن يحمل عنها أعباءها لكنها شعرت برغم ذلك بالارتياح والتفاؤل في وجوده.

– قال لي الطبيب إنه ليس أمامي خيار أو بديل. فلو أن الأمر كان يتعلق بكسر ألمّ بساقه لكان بوسعها رعايته بالمنزل، لكن الأمر أبعد

من ذلك وأعظم. لقد أصيب بسكتة دماغية صغرى تسببت في سقوطه في البداية، ثم تعرض لنوبتين أخريين منذ أن دخل المستشفى. إنه يحتاج إلى الرعاية على مدار الأربع والعشرين ساعة يوميا، وحدثني الطبيب بأنني لن أستطيع تقديم الرعاية اللازمة له أو التعامل معه.

ثم صمتت "شارلوت" كي تحبس دموعها التي عادت تهددها بالانهمار وراحت تنظر إلى "هاريس". لقد كان صبورا معها للغاية في ذلك اليوم. وبعد توقفهما بالفندق لترك مفاتيح سيارتها هناك كي يقوم شخص ما بإحضارها لها، ذهبا لنزهة طويلة بالسيارة. وإدراكا منه لكونها ماتزال على مقربة من حافة اليأس والقنوط من جدوى التحدث عن مشكلاتها وهمومها فقد أبقى الحديث بينهما قاصرا على الأمور الثانوية. ولم يتسن له إخراجها مما كان يؤلمها إلا في خلوة شقتها بعد تناولهما وجبة اشتركا في إعدادها.

– أشعر بالذنب بشأن ترك "جيمي" في المستشفى. فسوف يكره المقام هناك لتلقي العلاج.

– أعتقد أن الطبيب كان على حق.. فليس بإمكانك رعايته كما ينبغي.

وعادت إليه لهجته الصارمة وهو يردف قائلا لها:

– عليك أن تواجهي الحقائق يا "شارلوت". فمن خلال ما سمعته منك فصديقك "جيمي" لم يعد قادرا على العيش بالمنزل. وفضلا عن حالته الصحية فهو في مرحلة متقدمة من الشيخوخة، ومن المرجح أنه لن يدرك حتى إنه في مستشفى.

وبلهجة تنم عن التمرد والتبرم قالت له "شارلوت":

– إنه ليس سيئا إلى هذه الدرجة.

– أحقا ما تقولين؟ ألم تخبريني بأنه لم يعرفك عندما قمت بزيارته أمس؟

وعادت الدموع اللعينة تتسلل إلى عينيها قبل أن تقر له بقوله بصوت واهن:

– أعلم ذلك.

وطمأنها قائلا لها:

– سوف أساعدك ولن أتركك لحظة واحدة وسوف نجد مكانا ما يشعر فيه "چيمي" بالراحة.

رفعت وجهها وراحت تنظر إليه ثم سألته قائلة:

– هل تعتقد بأننا نستطيع القيام بذلك؟

– أعدك بذلك.

وفي تردد قال لها:

– من الأفضل أن أذهب الآن.

ثم طبع قبلة رقيقة حانية على جبينها. وأدركت أنه لم يكن من حقها أن تريده لنفسها، فهو ملك لامرأة أخرى. لكنها تحبه من صميم قلبها وبكل كيانها، وكانت تحتاج إليه بشدة. ولكنها قد تشعر غدا بالذنب والندم أما الليلة...

وبلهجة خشنة متصلبة قالت له:

– أعتقد بأنك محق ويجب أن تذهب الآن.

وتفحصها متأملا ومفكرا للحظة قبل أن يسألها قائلا:

– هل أنت متأكدة من أنك سوف تكونين بخير هنا وحدك؟ بإمكاني أن أبقى معك إن أردت ذلك.

وعاجلته بنظرة حادة فضحك ضحكة عريضة ساخرة قبل أن يردف قائلا لها:

– أقصد البقاء هنا على الأريكة.

– أنا...

قاطعها قائلا لها بعد أن حزم أمره وتوصل إلى قرار:

– استمعي إلي. لم لا تذهبين وتستعدين للنوم؟ وسوف أتمدد أنا هنا ثم أستلقي على الأريكة.

وقبل أن تدرك ما كان يحدث كان قد دفع بها إلى حجرة نومها وكان الباب قد أغلق بينهما.

الفصل الحادي عشر

عندما استيقظت "شارلوت" في وقت مبكر من صباح اليوم التالي وخرجت من غرفة نومها قاصدة المطبخ رأت "هاريس" ممددا على الأريكة فراحت تمشي على أطراف أصابعها إلى باب المطبخ الذي دلفت منه ثم أحكمت إغلاقه حتى لا تحدث ضجة توقظ "هاريس" النائم بحجرة المعيشة.

وبينما كانت تقف بجوار الكونتر تحتسي مشروبا دخل عليها "هاريس" بعد بضع دقائق فالتفتت إليه عند سماعها صوت دخوله إلى المطبخ وشعرت ساعتها بقلبها يخفق بشدة. وابتدرها بسؤاله قائلا لها:

– هل استطعت النوم؟

– لا لم أستطع في الواقع. آسفة إذا كنت قد أيقظتك.

www.elromancia.com

اقترب منها "هاريس" أكثر، واضعا ذراعيه حول خصرها ثم قال لها:

– لا تهتمي. ولكن ماذا أيقظك؟ أمازلت قلقة على "چيمي"؟

– بعض الشيء.

ثم تركزت أفكارها فجأة على المكان و"هاريس" نفسه. وشعرت أن بمقدورها وهو يلف خصرها بذراعيه في هذا الجو من الود والتقارب بينهما أن تفصح له عن بعض أفكارها فبدأت حديثها قائلة له:

– "هاريس"...

ثم توقفت كي ترطب شفتيها الجافتين وتستجمع شجاعتها بصورة أكبر ،وأردفت تقول له بعد أن أطلقها من بين ذراعيه:

– "هاريس".. بشأن طفلنا. أنا لم أتخلص منه عمدا بل كان ذلك نتيجة إسقاط.. إنه قدر الله. كنت أريد طفلي. ولم أكن أبدا لأفكر في التخلص منه. لا أعرف كيف دار بخلدك أنني يمكن أن أقدم على التخلص منه.

– أخبرني والدك بأن ذلك ما كنت تعتزمين القيام به.

ونظرت إليه باهتمام واضح قائلة له:

– والدي قال لك ذلك؟ كيف أقدم على... لماذا...؟

ولم يكن بمقدورها استيعاب الموقف.

– تعلمين أمر الصفقة التجارية الذي أراد أن أسانده فيها؟

وعندما أومأت رأسها بالإيجاب أردف قائلا لها:

– حسنا. وعندما خذلته هددني بأنه لن يزوجك مني... وأنه سوف يجعلك تتخلصين من الطفل.

وسألته متحيرة قائلة:

– لماذا قال شيئا كهذا؟ فقد كان يعلم أنه لم يكن ليحملني على القيام بشيء كهذا. وعلاوة على ذلك فقد كان تهديده لك تهديدا أجوف. فأنت لم تكن تريد أن تتزوجني في المقام الأول.

وسألها بهدوء قائلا:

– أحقا ما تقولين؟

وطال تعلق عينيه بعينيها حتى همست قائلة له:

– نعم.

– لقد كنت أحبك بجنون.

تجهم وجه "شارلوت" وأوشكت على أن تبتعد عنه لكن ذراعيه أمسكا بها بقوة قبالته. واندفعت قائلة له ردا على كذبته:

– لكن تصرفاتك لم تكن توحي بذلك! كنت تبدو على أنك تحتقرني.

تنهد قائلا لها بحنق:

– أعلم ذلك. فقد كنت صغير السن كثيرا آنذاك. لا تنسي ذلك. إنني... إنني كنت مستاء من شعوري تجاهك. لقد أفزعتني بشدة. فلم أكن على أدنى استعداد للاستقرار وربط مصيري بامرأة واحدة بقية حياتي... ثم جئت أنت.

ومد يده لأعلى كي يزيل خصلة شاردة من شعرها الأشقر الحريري عن صدغها قبل أن يردف قائلا لها:

– في البداية ظننت أن بإمكاننا أن نقيم علاقة عاطفية... وأنك مجرد فتاة أخرى وأنه بمجرد أن أطارحك الغرام فسوف تخرجين من حياتي وتفكيري.

أسرعت تسأله قائلة له بمرارة:

www.elromancia.com

– ألم يكن ذلك ما حدث بالفعل ؟

هز رأسه قبل أن يجيبها بقوله :

– كلا مطلقا ألبتة . لقد كان حبك يجري مني مجرى الدم من العروق، ألا تدركين ذلك؟ لقد كنت أقاومه وأحاول إنكاره . أتذكرين كيف اعتدت الاتصال بي هاتفيا؟ كنت أحيا من أجل تلك المكالمات الهاتفية لكنها كانت تعذبني أيضا . كنت أريد الذهاب إليك . . أن أراك . . أن أطارحك الغرام ثانية . لكني كنت أحب حريتي وكنت أنت أكبر تهديد لها . لقد أحببتك لكني كنت مستاء منك أيضا . ولذا كان برودي في التعامل معك ولم أدع لنفسي الفرصة كي آتي إليك لرؤيتك . كنت أعاقبك فإذا بي كنت أعذب نفسي وأؤلمها أكثر .

كانت "شارلوت" صامتة وتحاول جاهدة استيعاب ما قاله وكان ذلك يتطلب منها إجراء تعديل جذري في تفكيرها . فطوال تلك السنوات العجاف كانت تظن أنه لا يهتم بأمرها وأنه كان يحتقرها لإجباره على الارتباط بها .

– لكنك كنت تبدو غاضبا للغاية عندما اكتشفت وجود طفل . . . وأنك سوف تضطر إلى أن تتزوجني .

– أعتقد أن ذلك بدافع الكبرياء التي كانت تؤلمني أكثر من أي شيء آخر . كنت على وشك الوصول إلى الاعتراف في قرارة نفسي بأنني أحببتك وأنني لم أكن لأستغني عنك أو أحيا بدونك عندما وجدت أنه ليس أمامي من خيار . كنت غير ناضج بما يكفي لأن أستاء من ذلك . كنت أريدك أن تحبيني لشخصي ولذاتي وليس لمجرد كوني حلا لمشكلتك .

اعترضت قائلة له :

– لكني أحببتك حقا وأنت كنت تعلم ذلك .

ذكرها قائلا :

– كنت في السابعة عشرة من عمرك آنذاك . قلت إنك أحببتني لكن هذا كان من الممكن أن يكون مجرد افتتان وشغف . وعليك أن تقري وتعترفي بأنك لم تكوني متحمسة جدا لخطوبتنا .

– كان هذا لمجرد شعوري بالذنب لكوني قد أجبرتك على خطبتي .

أقر لها بلهجة جافة قائلا :

– الواقع أن ذلك لم يكن فيه إرغام كبير لي إلى هذه الدرجة كما تتصورين . كان والدك يعلم بشعوري نحوك لكنه حاول الاستفادة منه لمصلحته الشخصية .

شعرت "شارلوت" بالخزي من صنيع والدها وتخطيطه الجشع قبل أن تعقب على ما قاله بقولها :

– كان يكذب علي . ما كان لي أن أدعه يجبرني على القيام بعمل كهذا . . .

ضمها "هاريس" إلى صدره بشدة رافعا وجهها تجاه وجهه ثم قال لها :

– هلا سامحتني وغفرت لي تصديقه فيما ذكره لي عنك؟

طمأنته قائلة له وقد وقفت على أطراف أصابعها كي تقبل شفتيه :

– بكل تأكيد يا عزيزي .

خفض رأسه كي تقابل شفتاه شفتيها في قبلة دافئة مطمئنة . وهمس "هاريس" في أذنها قائلا لها :

– دعيني أحبك يا "شارلوت" كما أحببتك من قبل .

www.elromancia.com

– حسنا. لكنك لست رجلي في الواقع. إنك تخص "چانيس"..
فهي خطيبتك. أليس كذلك؟

ولم يجبها للحظة ثم قال لها:

– وهذا يضايقك؟

وذكرته قائلة له:

– بالطبع ،ولابد أن يضايقك أنت أيضا يا "هاريس".

كانت تحبه وتريده لنفسها. لكنها كانت تريد أن تحترمه أيضا ولم تكن تحترم الخيانة ومن يتصفون بها.

عندما بدا أنه لم يكن لديه ما يقول لها تحولت بعيدا عنه تاركة حجرة المعيشة في طريقها إلى المطبخ ثانية. لكنها لم تكد تصل إلى باب المطبخ حتى سمعت صوته يشق حجاب الصمت وهو يناديها قائلا لها:

– وماذا لو أخبرتك بأنني لن أتزوج "چانيس"؟

ترددت ولم تقو على حمل نفسها على أن تلتفت إليه وسألته:

– هل هذا صحيح؟

وأكد لها بلهجة صارمة ونظرة ثابتة قائلا:

– لن أتزوجها.

وبصوت أجش سألته كي تتيقن من أنها لم تكن تحلم قائلة له:

– لن تتزوجها حقا؟

وهنا هز رأسه مؤكدا صدق ما قاله لها مع خفض رأسه كي يقبلها، فاستجابت له دون تحفظ بعد أن انهار آخر حاجز بينهما واستحال رمادا يذروه حبها المتدفق نحوه.

تنهدت "شارلوت" صارفة عينيها المذنبتين بعيدا عنه وقد راحت

تنظر خارج نافذة سيارته التي كانت تقلهما. كان "هاريس" محقا.. فقد كانت دار "كولومبين" لرعاية المسنين أفضل دار رعاية مسنين، ذهبا إليها... فقد ذهبا إلى الكثير من دور رعاية المسنين طيلة الأيام الثلاثة الماضية حيث كان البعض منها معتما وكئيبا ويعج بالمسنين اليائسين الذين ينتظرون الموت. وكان البعض الآخر مشرقا إكلينيكيا ونظيفا ويشيع فيه جو الدفء والود لمعسكر تدريب أساسي عسكري.

أما "كولومبين" فلم تكن تنتمي لأي من هذين الصنفين لدور رعاية المسنين التي شاهداها. فقد كانت نظيفة وحديثة ومجهزة على أعلى مستوى ويشيع فيها جو أسري مبهج ينشرح له القلب ، وكان العاملون بها ودودين وعطوفين للغاية تجاه نزلاء الدار. لقد كان "هاريس" عطوفا جدا معها طيلة الأيام القليلة الماضية وراح يجوب معها أرجاء البلد بحثا عن منزل مناسب لـ"چيمي" تاركا عمله في الفندق من أجل ذلك.

وعندما وصلا إلى الفندق توقف بسيارته خلف سيارتها التي كانت واقفة هناك. وراح ينظر أمامه مباشرة وهي تقوم بفك حزام مقعدها. وأخيرا حررت نفسها ووضعت يدها على رافعة الباب استعدادا لمغادرة السيارة ثم التفتت إليه كي تشكره على مساعدته لها في البحث عن دار رعاية مسنين لـ"چيمي".

ولم يكد يطبع على فمها قبلة رقيقة خاطفة حتى كان هناك وميض لامع أضاء السماء. وغمغم قائلا لها:

– من المحتمل أن يصيبنا البرق.

وهنا ضحكت "شارلوت" وهي تشير إلى السماء الثائرة ثم قالت

www.elromancia.com

له:

– هذا ما يحدث في كل مرة تقبلني فيها.

سألها مبتهجا قائلا لها:

– أحقا ما تقولين؟

ثم جذب يدها بقوة وهو يحثها على المضي معه إلى داخل الفندق وراحا يعدوان معا يدا بيد إلى المدخل الخلفي للفندق.

الفصل الثاني عشر

كف "توني" عن تأمل إنجازه الفني ونظر إلى "هاريس" و"شارلوت" وتجهم وجهه عندما قرأ علامات التوتر تخيم عليهما فسألهما قائلا:

– ما الخطب؟

أسرع "هاريس" الغاضب بالالتفات إليه قائلا له:

– عليك بالتخلص من تلك اللوحة اللعينة فورا. لم آذن لك أبدا في تعليقها هنا وأريد منك الآن إخراجها من هنا!

تراجع "توني" إلى الخلف بعد أن هاله غضب رئيسه الواضح وشحب وجهه. ومن منطلق تعاطفها مع زميلها في العمل تمنت "شارلوت" لو لم يكن قد اتخذ منها موديلا للوحته ولكن من الناحية الجمالية فقد كان عمله رائعا حقا. وكانت على وشك أن تهب للدفاع عن زميلها لولا أن أتاها صوت نسائي رقيق يقول بلهجة لاذعة:

– هانت قد حضرت يا "هاري".

كان الصوت صوت "چانيس" معلنا عن وصولها. وراحت تبتسم

في خيلاء عندما التفت إليها الأبطال الثلاثة للمشهد السابق.

وحولت انتباهها إلى "هاريس" قائلة له:

– لقد كنت رجلا مراوغا طيلة الأيام القليلة الماضية.

ورمقت "شارلوت" بنظرة لها مغزاها قبل أن تردف قائلة له:

– وبمجرد أن سمعت بحضورك إلى الفندق رأيت أنه من الأفضل أن آتي إليك.

ومدت يدها لأسفل ونزعت الخاتم الزمردي من إصبعها ومدت يدها به نحو "هاريس" قائلة له:

– ألا ترى أنه ينبغي لك استعادته؟

وفزعت "شارلوت" وهي تراقب "هاريس" وهو ينظر لأسفل إلى الخاتم الذي مدت به "چانيس" يدها إليه وشعرت بالغثيان الذي امتزج بالاحتقار وزوال الغشاوة عن عينيها. لقد خدعها بمعسول كلامه منذ ثلاثة أيام وتبخرت وعوده لها وذهبت أدراج الريح!

وعندما مد يده كي يتناول الخاتم نظر إلى "شارلوت" التي أنبأته تعبيرات وجهها بأفكارها وخطا نحوها خطوة قائلا لها:

– انتظري لحظة يا "شارلوت".

ولم تطق "شارلوت" انتظار المزيد من الأكاذيب والخداع فاستدارت على عقبيها وهربت من الردهة عدوا وراح "هاريس" يعدو في أثرها.

كان المطر بالخارج ينهمر بغزارة بينما كانت الرياح تهب بقوة مقتلعة الأشجار من جذورها. ولم يكن اليوم يوم قيادة السيارة بل البقاء بالمنزل بجوار المدفأة طلبا للدفء والأمان من عوامل الطبيعة عندما تكشر عن أنيابها.

عندما أفاقت "شارلوت" راحت تسأل بصوت فوجئت أنه أقرب

www.elromancia.com

إلى الهمس:

– ماذا حدث؟

أجابها "هاريس" وقد بدا على وجهه القلق والانشغال مادا يده لأعلى كي يتحسس الرض الذي لحق بصدغها بيده برفق قائلا لها:

– ألا تذكرين ما حدث؟

أحست برأسها يؤلمها واضطرت لحمل نفسها على التركيز وهو يردف قائلا لها:

– كانت هناك تلك الشجرة...

وتذكرت "شارلوت" ما وقع لها على الطريق فرمته بنظرة غاضبة. ونصحها قائلا لها:

– فلتهدئي الآن يا "شارلوت" لقد أصبت إصابة شديدة وقد استدعيت طبيبا لفحصك لكن مجيئه قد يستغرق بعض الوقت بسبب الجو العاصف. فاهدئي واستريحي.

وبصقت في وجهه قائله له:

– لست بحاجة إلى طبيب.

رغم ضعفها الشديد كان بمقدورها استخدام صوتها فقالت له:

– كل ما أريده هو أن اذهب عنك... أيها المخادع الحقير.

– أخبرتك بانني لن أتزوج "چانيس".

وأمسك بيديها وشد عليهما بقوة بيديه وراح ينظر في عينيها ممعنا ثم أردف قائلا لها:

– استمعي إلي جيدا يا حبيبتي. إذا أردت أن أتزوج فلن أتزوج غيرك.

وهنا أخذت تحدق إليه غير مصدقة أذنيها فابتسم لها مداعبا ثم

قال لها:

– إنني أعني ما أقول. فانا أحبك وأريدك زوجة لي.

وغمغمت قائلة له:

– وخطوبتك لـ"چانيس"؟

– لم يعد لها وجود.

وبدا حزينا ومتعبا وهو يحملق إلى يديه كما لو كان لم يرهما من قبل ثم أضاف قائلا لها:

– لقد ارتبطنا أنا و"چانيس" لتونا عندما عدت أنت إلى حياتي ثانية. كنت أظن أنني قد بلغت مرحلة من حياتي يمكنني فيها أن استقر وأن تكون لي أسرة. لقد عرفت "چانيس" لزمن طويل وتصورت أن بإمكاننا أن نكون زوجين سعيدين. لم أكن أحبها لكن ذلك لم يكن يهم. لقد أحببت ذات مرة من قبل ولم يجد الحب نفعا ولذا لم أكن متلهفا لتجربته ثانية.

– ولذا قررت أن تتزوجها؟

صمت لبرهة ثم عاد يتابع حديثه قائلا لها:

– نعم، هذا صحيح. لم أشغل تفكيري أبدا باهتمامها بما إذا كنت أحبها أم لا. كانت تحتاج إلى الأمان وكنت أرثي لحالها وأشفق عليها. وظننت أن ذلك سوف يجدي نفعا.

سألته وقد بدت عليها الحيرة:

– ولماذا كنت تشفق عليها؟

– لقد مرت بظروف صعبة للغاية في حياتها ،توفي والدها عندما كانت طفلة ولم يكن لأمها وجود في حياتها تقريبا، فقد كانت فريسة الوساوس والأوهام المرضية ، وتمكنت من إبقاء "چانيس"

www.elromancia.com

مرتبطة بذيل ثوبها لسنوات راحت فيها تحوم حول باب الموت وفرضت خلالها عزلة تامة على الفتاة بعيدا عن الناس ومباهج الحياة. وعندما توفيت العام الماضي بدت "چانيس" ضائعة. وظننت أنني كنت أصنع لها معروفا بسؤالها الزواج مني.

– هل تعتقد بأنك كنت تسدي لها معروفا بذلك؟

ونظر إليها وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة تنم عن سخريته من نفسه ثم قال لها:

– كي أكون صادقا معك أقول لك.

– إن هذا ليس صحيحا. فقد تحررت "چانيس" لتوها من تلك الأم الطاغية وكانت تحتاج في واقع الأمر إلى الفرصة كي تستمتع بتلك الحرية لا أن تصبح مقيدة بخطوبة. ولعل ما زاد الأمر تعقيدا اكتشافي لكوني لم أكن سعيدا بهذا القيد أنا أيضا عند عودتك إلى حياتي.

– لكن ذلك كان في بداية الصيف. وقد ظللتما مخطوبين طوال هذه المدة.

– أعلم ذلك. في البداية اعتقدت بأنني لم أكن أريد أن أقر بأنني مازلت أحبك. وكنت قد ظللت أقاوم حبي لك لسنوات وسنوات حتى أصبح ذلك عادة لدي. وأخيرا أقررت في نفسي أنني كنت في معركة خاسرة، وكان ذلك في نفس الليلة التي حاول فيها "چاري" اغتصابك كنت أريد قتله لمجرد النظر إليك. ومن المحتمل أنني كنت سأقتله لولا أنهم جذبوني بعيدا عنه وأوقفوا العراك.

وارتعدت "شارلوت" وهي تقول له:

– أنا...

لكنها هزت رأسها ولم تكمل حيث لم تجد ما تقوله له معقبة. وبعد أن سكن روعها قالت له "شارلوت":

– لقد سمعت عن مشاجرتك معها. وقد أرادت فسخ الخطوبة، لكنك لم تدعها تفعل ذلك.

– كان ذلك بسبب "چاري ساندرز".

– "چاري"؟ وما علاقته بذلك؟

– كانت تريد أن تتزوجه بدلا مني.

– حسنا. ولماذا لم تدعها تتزوجه؟

– رغم أنني لم أحب "چانيس" ولم تعد لدي الرغبة في أن أتزوجها فقد كنت أشعر بأنني مسؤول عنها، ولذا لم أكن لأقبل أن تتخلى عن حريتها وتربط حياتها بحياة نذل حقير مثل "چاري"، ولم يكن أمامي خيار لإنقاذها منه إلا بالإبقاء على خطبتي منها كي أضمن ابتعاده عنها. ثم اقترب من "شارلوت" أكثر ولف ظهرها بذراعه آخذا بذقنها في يده كي يجعلها تلتفت إليه ثم أردف قائلا لها:

– أردت أن أشرح لك ذلك كله من قبل لكنك لم تعطيني الفرصة. واعتقدت أنه ربما كان من الأفضل أن أمكث بعيدا عنك حتى ينفرج الموقف من نفسه. لكنني لم أطق الانتظار طويلا، وعندما علمت أنك بحاجة إلي عندما وقع صديقك العجوز فريسة المرض لم أحتمل البقاء بعيدا عنك.

مال عليها كي يقبلها فارتمت بين أحضانه واستسلمت شفتاها لشفتيه في قبلة محمومة ثم قالت له بعد أن أفاقت من نشوة القبلة:

– إنني أحبك بجنون.

- ولكن...

- أوه فلتقبلني فحسب يا عزيزي.

رماها بنظرة اختلطت فيها الدعابة والمكر قائلا لها:

- أمجرد أنك لم تعودي تعملين عندي تتوقعين أن تنقلب الأوضاع وأدعك لأن تكوني رئيسي.

ثم راح يمطر شفتيها بقبلاته المتلاحقة فوجدت "شارلوت" نفسها تذوب في نهر حبه المتدفق نحوها.

تمّت بعون الله

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة